٠٨٢
م

تفسير سورة تبارك، تأليف ابن كمال باشا، أحمد ابن سليمان - ٩٤٠هـ. كتب في القرن الحادي عشر الهجري تقديرا.

١٢ ق   ١٥ س   ٥ر١٧×١٢سم

م ٦٨٥٣/١

نسخة جيدة، ضمن مجموع (ق ١-١٢)، خطها تعليق حسن.

الأعلام ١: ١٣٠ هدية العارفين ١: ١٤١

١- التفسير، القرآن الكريم وعلومه أ- المؤلف ب- تاريخ النسخ ج- تفسير سورة الملك.

٠٨٢
م

(كتاب في الفلسفة) الغزالي، محمد بن محمد - ٥٠٥هـ. كتب في القرن الحادي عشر الهجري تقديرا.

٣٤ ق   ١٥ س   ٥ر١٧×١٢سم

م ٦٨٥٣/٢

نسخة جيدة، ضمن مجموع (ق ١٣-٤٦)، خطها نسخ حسن، لعل نهاية الكتاب جاءت في بدايته لخطأ في التجليد.

الاعلام ٧: ٢٤٧

١- الفلسفة الاسلامية في العصور الوسطى أ- المؤلف ب- تاريخ النسخ.

٠٨٢
م

(تفسير القرآن)، قطعة منه. كتبت في القرن الحادي عشر الهجري تقديرا.

٢٣ ق   ١٥ س   ٥ر١٧×١٢سم

م ٦٨٥٣/٣

نسخة جيدة، ضمن مجموع (ق ٤٧-٦٩)، خطها تعليق حسن.

١- التفسير، القرآن الكريم وعلومه أ- تاريخ النسخ.



شاور مع اخوانك لا تخف

بسم الله الرحمن الرحيم

تبارك تعالى عما يدرك الحواس والاوهام وتعاظم عما يحيط به القياس والافهام الذي بيده بقبضة قدرته الملك يتصرف فيه كيف يشاء والملك عالم الاجسام كما ان الملكوت عالم الارواح فلذلك وصف ذاته باعتبار تصريفه عالم الملك وتدبيره اياه بحسب مشيته بالتبارك الذي هو غاية العظمة في افاضة الخير والبركة والزيادة فيها وباعتبار تسخيره عالم الملكوت المقتضى ارادته بالتسبيح الذي هو كونه منزها عن مشابهة الاجسام حيث قال فسبحان الذي بيده ملكوت كل شيء وعقب كلا بما يناسبه لان الزيادة والبركة تناسب الاجسام في نموها وازديادها والتنزه يناسب المجردات عن المادة وهو على كل شيء قدير سواء كان ذلك الشيء

من عالم

من عالم الملك او من عالم الملكوت وفيه دفع ما عسى ان يتبادر الى الوهم من ان تخصيص الملك بالذكر اختصاص الحكم السابق به خلق الموت والحيوة الخلق بمعنى الايجاد ان كان الموت ضد الحيوة وبمعنى التقدير ان كان عدمها وانما قدم الموت عليها لانه ادعى الى حسن العمل فذكره في هذا المقام اهم واما قوله تعالى وكنتم امواتا فاحياكم فالموت فيه على المعنى المجازي ليبلوكم ليعاملكم معاملة المختبر من البلوى وهي الخبرة ايكم احسن عملا في الدنيا بالزهد في موادها والرغبة عنها وكما ان الاختبار في قوله تعالى وجعلنا ما على الارض زينة لها لنبلوهم ايهم احسن عملا غير مخصوص بالمكلفين بالشرايع كذلك ههنا غير مخصوص بهم جملة واقعة موقع المفعول الثاني لفعل البلوى من حيث انه يتضمن معنى العلم

فليس هذا من باب التعليق لان الجملة المعلق
عنها تجب ان تقع موقع المفعولين معاً ولما قدم
الموت الذي هو اثر صفة القهر على الحيوة التي هي
اثر صفة اللطف قدم صفة القهر على صفة اللطف
وهو العزيز الغالب الذي لا يعجزه من اساء
العمل الغفور الستار الذي لا ييأس منه اهل
الاساءة والزلل الذي خلق سبع سموات
طباقاً مطابقة بعضها فوق بعض من طابق النعل
النعل اذا خصفها طبقاً على طبق او جمع طبق
كجمل وجمال وطبقة كثمرة وثمار صفة ان كان
جمعاً او وصف بالمصدر وعلى ذات طباق او
طوبقت طباقاً والخطاب في ما ترى في خلق الرحمن
لكل احد للتعجب العام من التناسب التام
في خلقهن من تفاوت من اختلاف في الخلقة
وقرئ من تفوت ومعنى البنائين واحد

كالتعاهد

كالتعاهد والتعهد وحقيقة التفاوت عدم التناسب
كأن لا يناسب بعض الشيء بعضاً ولا يلايمه
وقوله في خلق الرحمن من باب وضع الكبرى
موضع النتيجة اثباتاً للحكم بعلته وذلك ان
حاصل الكلام ما ترى فيهن من تفاوت لانه من
خلق الله تع وما ترى في خلقه من تفاوت وفي
اضافته الى الرحمن اشعار بان ذلك التناسب
اثر الرحمة لانه مدار نظام العالم والجملة ثانية
للسبع فارجع البصر هل ترى متعلق بما قبله
على معنى التسبيب اي ان اردت ان تتحقق ما
اخبرتك فارجع البصر هل ترى من فطور
صدوع وشقوق جمع فطر وهو الشق والمراد
الخلل ثم ارجع البصر معنى التراخي في ثم هو ان
تتوقف بعد كلال البصر بكثرة المراجعة حتى يجم
بصره ثم يعاد ويعاد فلا ينقلب اليك الا بتعب



السلامة في الصبر والندامة في التعجيل

عن المطلوب في الكلال ولا يعثر على شيء من
التفاوت والفطور والمراد بالتثنية في كرتين
التكرير والتكثير كما في قولهم لبيك وسعديك
ولذا اجاب بقوله ينقلب اليك البصر خاسئا
بعيدا عما طلبت كأنه طرد عنه بالصغار وهو
حسير كليل من كثرة المراجعة وطول المعاودة
ولقد زينا السماء الدنيا القربى منكم وفي هذا
التوصيف دلالة على ان الزينة في الواقع لا في
الرؤية اذ لا تمايز بين دنياها وعلياها في النظر
بمصابيح استعيرت للكواكب المضيئة بالليل
والتنكير للتنويع اي بمصابيح ليست من جنس
مصابيحكم وجعلناها رجوما للشياطين جمع
رجم بالفتح وهو مصدر سمي به ما يرجم به اي
ضممنا اليه التزيين فائدة اخرى جليلة هي رجم
الشياطين التي تسترق السمع بالشهب

المنقضة

المنقضة وقد عين هذا المعنى قوله تعالى وحفظا
من كل شيطان مارد والقرآن يفسر بعضه
بعضا سيما في حكم واحد فلا وجه لما قيل معناه و
جعلناها ظنونا لشياطين الانس وهم المنجمون
وفيه دلالة على ان الكواكب التي استعير لها
المصابيح في السماء الدنيا لان انقضاض الشهب
لا يتصور من سائر السموات وقد قرر في سورة
الانبياء ان تحت السماء الدنيا فلك هو برج
مكفوف فيه الكواكب كلها وعن كعب ان
السماء الدنيا موج مكفوف فيه الكواكب و
اعتدنا لهم عذاب السعير في الآخرة بعد الاحراق
بالشهب في الدنيا وعذاب السعير اشد الحريق و
للذين كفروا بربهم من الثقلين عذاب جهنم و
قرئ بالنصب على ان للذين عطف على لهم وعذاب
جهنم على عذاب السعير وبئس المصير المرجع اذا

فوض امرك الى الله واذهب الى حاجتك

القوا فيها طرحوا في جهنم كما يطرح الحطب في
النار العظيمة سمعوا لها لجهنم شهيقا صوتا
منكرا كصوت الحمار شبه حسيسها الفظيع بالشهيق
قال ابن عباس رضه والشهيق لجهنم عند القاء
الكفار فيها تشهق اليهم شهقة البغلة للشعير
ثم تزفر زفرة لا يبقى احد الا خاف واما الزفير
والشهيق للكفار المذكورين في قوله تعالى لهم فيها
زفير وشهيق فذلك بعد القرار في النار وبعد
ما قيل لهم اخسئوا فيها ولا تكلمون ولم يبق لهم
الا اصوات منكرة ولا حروف معها وهي تفور
ترتفع بهم بالغليان فان الفور ارتفاع الشئ
بالغليان لا الغليان نفسه ومنه الفوارة لارتفاعها
بالماء ارتفاع الغليان تكاد تميز اى تنقطع و
تتفرق من الغيظ على الكفار تمثيل لشدة اشتعالها
بهم ويجوز ان يراد غيظ الزبانية واسند اليها للملابسة

والغيظ

والغيظ الغضب الكامن ولا يلزم ان يكون من
العجز كما توهمه الجوهري لقوله تعالى والكاظمين
الغيظ فانه في مقام المدح والعاجز بمعزل عنه
كلما القي فيها فوج من الكفار المكذبين للرسل
بدلالة قوله فكذبنا ولا حجة فيها للمرجئة على انه
لا يدخل النار احد الا الكفار لانه بين حال
الداخلين فيها زمرا وسكت عن حال الداخلين
فيها فرادى فيجوز ان يكون عصاة المؤمنين
دخوله فيها فرادى سألهم اى قال لهم على ما صرح به
في سورة الزمر وفي التعبير عنه بالسؤال غير موصول
بالتعدية الى المفعول الثاني تنبيه على انه ليس حقيقة
بل تقريع وتوبيخ في سورة السؤال خزنتها
حفظة جهنم وهم الملائكة الموكلون بتعذيب اهلها
توبيخا لهم الم يأتكم نذير رسول من جنسكم يخوفكم
من هذا العذاب وحمل النذير على ميثاق العقول

ارجع الى الله وتب عن الاثم الذى قصدت

المخوفة برده قوله تع وقال لهم خزنتها الم ياتكم
رسل منكم يتلون عليكم آيات ربكم وينذرونكم
لقاء يومكم هذا قالوا بلى قد جاءنا نذير
اعتراف منهم بان الله تع ازاح عللهم بارسال
الرسول وحمل النذير على معنى الجمع لمساعدة
الصيغة له لا يحتمله المقام لان معنى فكذبنا
كل واحد منا النذير الذى جاءنا وكل واحد منهم
لم يكذب رسلا متعددة جاؤهم كيف وقوم نوح
ما جاءهم الا نوح عم وقلنا ما نزل الله من شيء
اى فكذبنا وافرطنا التكذيب حتى نفينا الانزال
والارسال راسا وعلى وفق هذا ورد ما فى
حذف المفعول من الايماء الى ان تكذيبهم لم يكن
لرسولهم خاصة فقوله ان انتم الا فى ضلال كبير خطاب
لرسولهم ولامثاله على التغليب واقامة تكذيب
الواحد مقام تكذيب الكل اشارة اولا الى عموم

تكذيبهم

رد

قوله ازاح
اى ازال
م

رد

تكذيبهم للرسل وبعد ما صرحوا بما يقتضى ذلك
اخرجوا ما فى حيز الاشارة الى معرض العبارة
ويجوز ان يكون خطابا من الخزنة على ارادة
القول والمراد بالضلال الهلاك او الضلال
فى الدنيا حكاية لما كانوا عليه فيها وقالوا
لو كنا نسمع سماع قبول وطاعة او نعقل
عقل متفكر متامل وكلمة او بمعنى الواو والجمع فى
قوله تع ان يشأ يرحمكم او ان يشأ يعذبكم او
لا استقلال فى كل من السمع والعقل فى الحكم
المذكور بعده او تنزيل لشطر العلة منزلة
تمامها تفصيلا لمواضع التفريط او اغناء اتباع
كل منهما فى مقام التحسر ما كنا فى اصحاب السعير
فى جملة من اعدت النار لهم فاعترفوا بذنبهم
حين لا ينفعهم الاعتراف وفى افراد الذنب
اعتبار الاصل اشارة الى ان ما اعترفوا به ام

فليتوكل على الله لا تخف

مشترك بينهم وهو الكفر بسبب تكذيب الرسل
فسحقا لاصحاب السعير السحق بتحريكها وتسكينها
البعد وانتصابه على انه مصدر وقع موقع الدعاء
اي فاسحقهم الله سحقا واصحاب السعير الشياطين
لان اعداءه كان لهم لا لكل من دخل فيه وقد
اشير الى ذلك في سياق كلامهم حيث قال في اصحاب
السعير ولم يقل من اصحاب السعير فلما فصل فيه
بينهم وبين اصحاب السعير كان اصل الكلام فسحقا لهم
ولاصحاب السعير وانما عدل عنه الى ما ذكر تغليبا
لاصحاب السعير عليهم للتحقير والتعليل والمبالغة في التهديد
على وجه الايجاز ومن وهم ان الايجاز نكتة
اخرى للتغليب فقد وهم فان كلا مما ذكر يتيسر
بدون التغليب الا انه لا يكون على وجه الايجاز
ان الذين يخشون ربهم بالغيب الخشية
خوف يشوبه تعظيم المخشي مع المعرفة به ولهذا

قال

قال الله تعالى انما يخشى الله من عباده العلماء
وانما قال بالغيب في عند الغيبة لا يبقى للخشية
شان لهم مغفرة واجر كبير متعلق التخصيص
المستفاد من تقديم الجار والمجرور رجوع الامر
فلا يلزم اختصاص مغفرة الذنوب بالذين يخشونه
واسروا قولكم او اجهروا به ظاهره الامر باحد
الامرين الاسرار والاجهار ومعناه المبالغة
في استوائهما في علم الله تعالى ثم علل بقوله انه
عليم بذات الصدور اي بضمائرها من غير ان
تترجم الالسنة عنها فكيف لا يعلم ما تكلم به ثم
اكد بقوله الا يعلم من خلق اي الا يحيط علما
بالمستتر والمجهر من خلق الاشياء كلها وهو اللطيف
الخبير وحاله انه المتوصل علمه لما بطن من خلقه
وما ظهر فهو تذييل بعد التعليل روي ان المشركين
بمكة كانوا يتسائلون عن رسول الله عم فيخبر جبريل عم

[illegible marginal notes]

بما قالوا فيه فنبئا لوا عنه فقالوا فيما بينهم اسروا
قولكم كيلا يسمعه اله محمد فنزلت هو الذي جعل
لكم الارض ذلولا لينة ليسهل لكم التصرف
فيها بالحركة والسكون وغير ذلك فامشوا في
مناكبها شبهت الارض في غاية تذللها
بالبعير المذلل والمشي في المناكب مثل لفرط التذليل
ومجاوزته الغاية فان منكبي البعير وملتقاهما من
الغارب ادق شيء منه وانباؤه عن ان يطأ
الراكب بقدمه فاذا جعلها في الذل بحيث تمشي
في مناكبها لم يترك شيئا من التذليل وحق المثل ان
يكون المفردات على حالها فلا استعارة في لفظ
المناكب وقيل استعير المناكب للجبال قال الزجاج
معناه سهل لكم السلوك في الجبال فاذا امكنكم السلوك
فيها فهو ابلغ التذليل وقيل استعير لجوانبها وكلوا
من رزقه التمسوا من نعم الله تعالى وتخصيص الاكل
بالذكر

بالذكر لكونه اهم واعم واليه النشور اي اليه نرجع
خاصة نشوركم فهو سائلكم عن شكر ما انعم به عليكم
ءامنتم من في السماء اي امره وقضاؤه او
الوهيته كقوله وهو الذي في السماء اله وفي الارض
اله والهمزة للانكار وقرئ بقلب الهمزة الثانية
الفا ان يخسف بكم الارض كما خسفها بقارون
وهو بدل من بدل الاشتمال والخسف ان تنهار
الارض بالشيء وتعديته بنفسه وبكم حال اي مصحوبا
بكم ام امنتم من في السماء ان يرسل عليكم حاصبا
كما فعل بقوم لوط والحاصب الحجارة التي
ترمى بها فستعلمون كيف نذير اي اذا
رايتم المنذر به علمتم كيف انذاري حين لا ينفعكم
العلم به ولقد كذب الذين من قبلهم فكيف
كان نكير اي انكاري عليهم بانزال العذاب
وهو تسلية للرسول وتهديد لقومه اولم يروا

الى الطير الاعتبار بالطير ناسب المقام اذ تقدم
الحاصب في الكلام وقد اهلك الله تعالى اصحاب الفيل
بالطير والحاصب الذي رميهم به ففيه اذكار قريش
بهذه القصة فوقهم صافات باسطات اجنحتهن
في الجو عند الطيران فانه اذا بسطها صففن قوادمها
صفا والصف وضع الاشياء المتوالية على خط
مستقيم ويقبضن ويضممن اذا ضربن بها
ويضممها صح
جنوبهن ولما كان الحث على الاستدلال على قدرة
الله تعالى بالطيران فالاصل فيه بسط الاجنحة واما
القبض فطار للاستظهار على التحريك للبسط لم يقل
قابضات ليدل على ان القدرة على ما هو خلاف الطبع
انما هو في البسط واما القبض فطار وقتا بعد وقت
لاحتياج البسط اليه في التحريك فان الطيران في الهواء
كالسباحة في الماء فكما ان الاصل في السباحة مد
الاطراف والقبض انما يكون تارات للاستعانة
على البسط

على البسط فكذلك في الطيران ما يمسكهن
في الجو على خلاف الطبع الا الرحمن الشامل
الرحمة للكل بقدرته بما دبر فيهن من القوادم
والخوافي وخصهن بهيئات واشكال يتهيأ
بها الجري في الجو وما يمسكهن مستأنف وان
جعل حالا من الضمير انه بكل شيء بصير يعلم
كيف يخلق ويدبر ويهيئ لكل شيء ما يعتده لما خلق
له واراده منه امن هذا الذي هو جند لكم امن
تنبيها اليه من المجموع ويقال هذا الذي هو جند
لكم ينصركم من دون الرحمن ان ارسل اليكم
عليكم صح
عذابه امن هذا الذي معادلة لهمزة الاستفهام
في اولم يروا ومن مبتدأ وهذا خبره والموصول
مع صلته صفة وينصركم وصف جند محمول على لفظه
والمعنى اولم ينظروا الى هذه الصنايع العجيبة
فيعلمون قدرتنا على تعذيبهم بخسف او حاصب

ام لكم جند ينصركم من دون الله تع ان ارسل
عذابه وهو نحو قوله تع ام لهم آلهة تمنعهم من
دوننا الا انه اخرج مخرج الاستفهام عن
تعيين من ينصرهم اشعارا بانهم اعتقدوا هذا
القسم ان الكافرون الا في غرور اي ما هم
الا في غرور ام من هذا الذي يرزقكم
ام من يشار اليه ويقال هذا الذي يرزقكم
ان امسك رزقه تقديرا وفيه ايذان
بان هذا اشارة الى جميع الاوثان لاعتقادهم
انهم يحفظون من النوائب ويرزقون ببركة آلهتهم
فكانهم الجند الناصر والرازق على اعتقادهم و
الامساك اللزوم المانع عن السقوط فلما لم يتعظوا
اضرب عنهم فقال بل لجوا اللجاج تقحيم الامر
مع كثرة الصوارف عنه في عتو العتو هو تجاوز
الى فاحش الفساد ونفور النفور

النبو

النبو من الشيء هربا من الشعور بضرره اي اصروا
على الفساد وتمادوا في الفرار عن الحق
النافع زاعمين انه باطل ضار ثم ضرب مثلا
للكافرين والمؤمنين فقال افمن يمشي
المشي جنس الحركة المخصوصة فاذا اشتد فهو سعي
اذا ازداد فهو عدو والنقلة اعم من المشي لتحققها
بدونه فيمن زحف ووثب والحركة اعم من النقلة
لوجودها فيمن يدور في مكانه مكبا اكب
صار ذا كب او دخل في الكب وهو السقوط
في الهوة ونحوه اقشع السحاب دخل في القشع
وهما من باب النقض والثلاثي من باب المطاوعة
كما توهم فان مطاوع كب وقشع انكب وانقشع
ولم يجئ من باب افعل مطاوع على وجهه
عاثرا كل ساعة تخر على وجهه لوعورة الطرق
واختلاف اجزائه في الارتفاع والانخفاض

ولذلك قابله بقوله سويا على صراط مستقيم واكتفى
بما في الكب من الدلالة على حال المسلك اشعارا
بان ما عليه المشرك لا يستاهل ان يسمى طريقا
وخبر من اهدى اى ارشد امن يمشى
سويا اى قائما سالما من العثور على صراط
مستقيم على طريق لا التواء فيه ولا
اعوجاج ولا تميل فيه اصلا فيتفق به الصعود
والهبوط والعدول عن قصد السبيل وقد مر
التفصيل في تفسير سورة الفاتحة وخبره محذوف
لدلالة اهدى عليه وقيل المكب الذى يحشر
على وجهه الى النار لانه كان مكبا على المعاصى و
السوى الذى يمشى على قدميه الى الجنة لانه
على طريق التوحيد والاسلام قل هو
الذى انشأكم وجعل لكم السمع لتسمعوا
المواعظ والابصار لتنظروا صنايعه

والا

والافئدة لتتفكروا وتعتبروا قليلا ما تشكرون
هذه النعم والمعنى تشكرون شكرا قليلا وما
زايدة ويحتمل ان يكون القلة عبارة عن
العدم قل هو الذى ذراكم خلقكم
في الارض واليه تحشرون للجزاء والحشر
السوق من جهات مختلفة الى مكان واحد
ويقولون متى هذا الوعد يعنون وعد
البعث ان كنتم صادقين يعنون النبي
عم والمؤمنين قل انما العلم علم وقته
عند الله لا يطلع عليه احد غيره وانما انا نذير
مبين مخوف ظاهر وذلك ان بعثه عم كانت
من اشراط الساعة فكان منذرا حالا وقالا
على ما اشير اليه بقوله عم انا النذير العريان
فلما راوه الضمير للوعد بمعنى الموعود و
زلفة نصب على الحال اى ذا زلفة

اي قرب منهم او على الظرف اي مكاناً ذا زلفة
اي فلما رأوا ما وعد قريباً سيئت وجوه
الذين كفروا من باب وضع الظاهر موضع المضمر
واصل النظم ان يقال فلما رأوه اي الذين كفروا
الموعود ساءت رؤيته وجوههم فغيّر الى ما ترى
للذم والايذان بان سبب الاساءة والكآبة
برؤية الوعيد انما هو الكفر وكذلك فمن يجير
الكافرين في موضع من يجيرهم وقيل هذا
الذي كنتم به تدعون تفتعلون من الدعاء
وقيل من الدعوى وقرئ تدعون بالتخفيف
قيل القائلون هم الزبانية اي تطلبون وتستعجلون
به او كنتم بسببه تدعون وتزعمون انكم لا تبعثون
قل ارايتم ان اهلكني الله ومن معي
من المؤمنين او رحمنا فمن يجير الكافرين من
عذاب اليم لا ينجيهم احد من العذاب متنا

او بقينا

او بقينا هو جواب لقولهم نتربص به ريب المنون
وفيه تعريض بان الرسول عم ومن معه متربصون
احد الحسنيين فاهلاك الذي تطلبون لهم انما
هو استعجال الفوز والسعادة وانتم على صفة
ليس ورائها الا الهلاك الذي لا اهلاك الذي
بعده وانتم غافلون لا تطلبون الخلاص منه
قل هو الرحمن اي الذي ادعوكم اليه مولى
النعم كلها آمنا به لعلمنا بذلك وعليه توكلنا
للوثوق انما اخّر صلة آمنا وقدم صلة توكلنا
لوقوع آمنا تعريضاً بالكافرين حيث ذكرهم
كأنه قيل آمنا ولم نكفر كما كفرتم ثم قيل
وعليه توكلنا خصوصاً لم نتوكل على ما انتم
متوكلون من رجالكم واموالكم فستعلمون
من هو في ضلال مبين منا ومنكم وقرئ
بالياء المغايبة ردّاً على قوله فمن يجير الكافرين

قل ارايتم ان اصبح ماؤكم غورا غائرا ذاهبا

في الارض لا تناله الدلاء يقال غار الماء غورا

اذا سفل في الارض مصدر وصف به للمبالغة

فمن يأتيكم بماء معين ظاهر تراه العيون

او جار على وجه الارض فهو على الاول مفعول

من العين كمبيع وبيع وعلى الثاني من الافعال

في الجري فوزنه فعيل كانه قيل معين في

الجري هذه الاوراق من تفاسير

المفضل الثاني المحقق جامع جميع

الفضائل كمثقفه من المشهر

بكمال باشا زاده

رحمه الله عليه رحمة

واسعة

والى ما ذكره فى آخر الزمان وظهور ذلك كما
ذكره علم علما ضروريا بانه بلغ الطور الذى
وراء العقل وانفتح له عين التى ينكشف منه الغيب
والخواص والامور التى لا يدركها العقل وهذا هو
منهاج تحصيل العلم الضرورى بصدق النبى فجرب
وتأمل القرآن وطالع الاخبار تعرف ذلك
بالعيان وفى هذا القدر كاف فى تنبيه المتفلسفة ذكرناه
لشدة الحاجة اليه فى هذا الزمان واما السبب الرابع
وهو ضعف الايمان بسبب سوء سيرة العلماء
فيداوى هذا المريض بثلثة امور احدها ان يقول
ان العالم الذى يزعم انه يأكل الحرام معرفته
بذلك الحرام كمعرفتك بتحريم الخمر والربوا بل بتحريم
الغيبة والكذب والنميمة وانت تعرف ذلك
وتفعله لا لعدم ايمانك بانه معصية بل بشهواتك
الغالبة عليك فشهوته كشهوتك وقد غلبته فعلمه

اذا ما قرئت فاستعنوا بالله فالله خير حافظا وهو ارحم الراحمين

بمسائل ورأيه هذا يتميز به عنك لايناسب
زجر عن هذا المحظور المعين وكم من مؤمن
بالطب لايصبر على الفاكهة وعن الماء البارد
وان زجره الطبيب عنه ولايدل ذلك على انه غير
اوعلى الايمان بالطب ليس بصحيح فهذا جميل
العلماء الثاني ان يقال للعامي ينبغي ان
العالم اتخذ علمه ذخر النفسه في الاخرة ويظن
ان علمه ينجيه ويكون شفيعا له حتى تساهل
في اعماله لفضيلة علمه وان جاز ان يكون
زيادة حجة عليه فهو يجوز زيادة درجة له وهو
ممكن فهو وان ترك العمل فيدلي بالعلم واما
ايها العامي اذا نظرت وتركت العمل و
عن العلم عاطل فتهلك بسوء عملك ولا شفيع
لك الثالث وهو الحقيقة ان العالم الحقيقي
معصية الا على سبيل الهفوة ولايكون مصرا على

لايتارف

المعاصي

على المعاصي اصلا اذ العلم الحقيقي مايعرفه
ان المعصية سم مهلك وان الاخرة خير من
الدنيا ومن عرف ذلك لايبيع الخير بما
ادنى وهذا العلم لايحصل بانواع العلوم
التي يشتغل بها اكثر الناس فلذلك لايزيدهم
العلم الا جرأة على معصية الله تعالى فاما العلم
الحقيقي فيزيد صاحبه خشية وخوفا ورجاء وذلك
يحول بينه وبين المعاصي الا الهفوات التي لا
ينفك عنه البشر في الفترات وذلك لايدل على
الايمان فالمؤمن مفتن تواب وهو بعيد عن الاصرار
والاكباب هذا ما اردت ان اذكره في ذم الفلسفة
التعليم وافاته وآفات من انكر عليهم لابطريق
ونسئل العظيم ان يجعلنا ممن اثره واجتباه
ارشده الى الحق وهداه والهمه ذكره حتى
لاينساه وعصمه من شر نفسه حتى لايؤثر عليه سواه

من رضي من الله بالقليل من الرزق رضي الله عنه بالقليل من العمل

واستخلصه لنفسه حتى لم يعبد الا اياه والحمد لله

رب العالمين والصلوة على نبيه

محمد وآله اجمعين حسبنا

الله ونعم الوكيل

نعم المولى ونعم

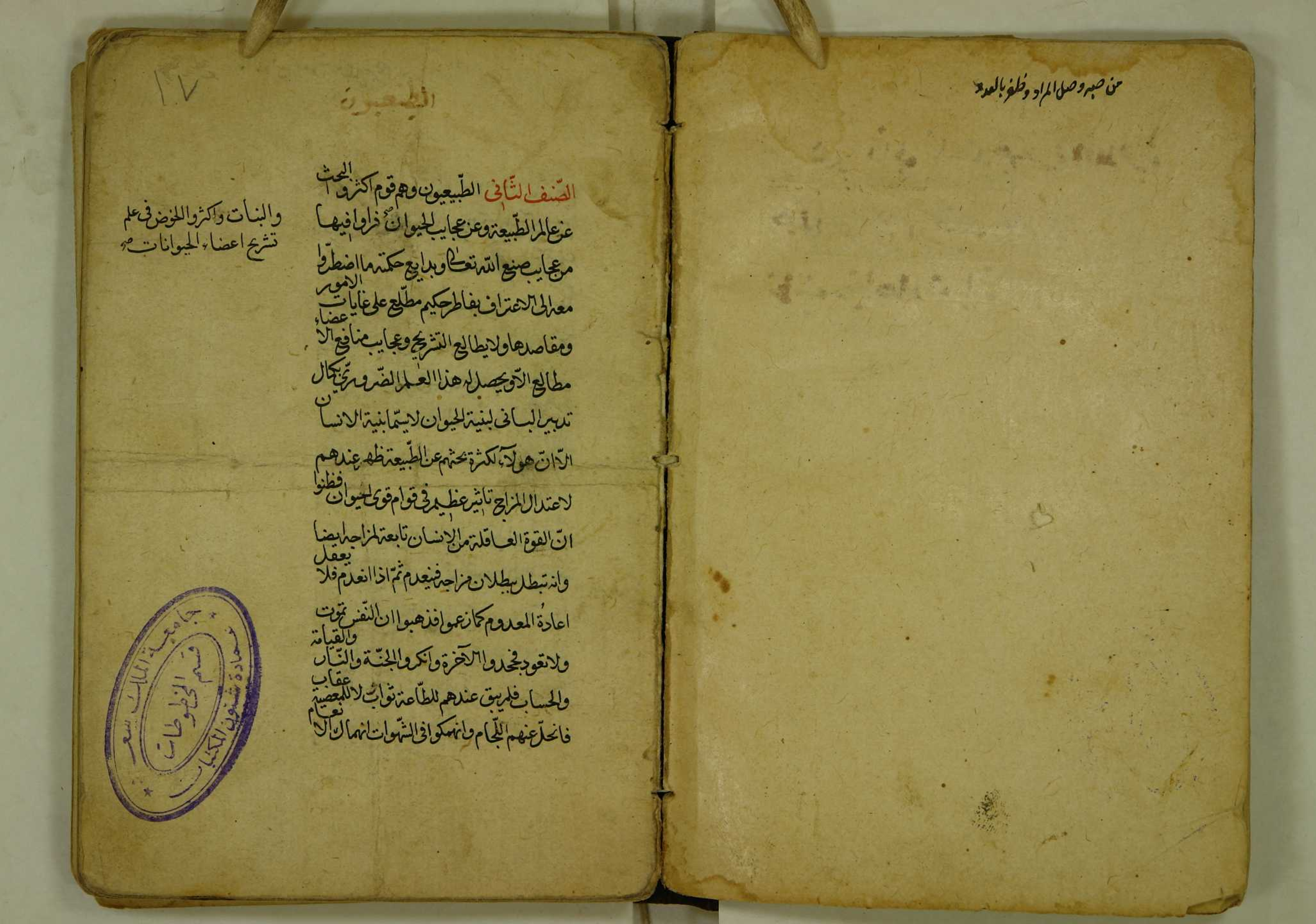
النصير

١٦

تمت الكتاب فلسفه جمعوة افلاطون

حكماء لقمان ارضه علم نجوم

فانی دنیا حادث باقی الله



من صبر وصل المراد وظفر بالعدو

الطبيعيون

الصنف الثاني الطبيعيون وهم قوم اكثروا البحث
عن عالم الطبيعة وعن عجايب الحيوان فراوا فيها
من عجايب صنع الله تعالى وبدايع حكمته ما اضطروا
معه الى الاعتراف بفاطر حكيم مطلع على غايات الامور
ومقاصدها ولا يطالع التشريح وعجايب منافع الاعضاء
مطالع الا ويحصل له هذا العلم الضروري بكمال
تدبير الباني لبنية الحيوان لا سيما بنية الانسان
الا ان هولاء لكثرة بحثهم عن الطبيعة ظهر عندهم
لاعتدال المزاج تاثير عظيم في قوام قوى الحيوان فظنوا
ان القوة العاقلة من الانسان تابعة لمزاجه ايضا
وانه تبطل ببطلان مزاجه فينعدم ثم اذا انعدم فلا يعقل
اعادة المعدوم كما زعموا فذهبوا ان النفس تموت
ولا تعود فجحدوا الاخرة وانكروا الجنة والنار والقيامة
والحساب فلم يبق عندهم للطاعة ثواب ولا للمعصية عقاب
فانحل عنهم اللجام وانهمكوا في الشهوات انهماك الانعام

والنبات واكثروا الخوض في علم
تشريح اعضاء الحيوانات

هذا الام فيه صعوبة لا نجل تر

ا بو لا طون

وهولاء ايضا زنادقة فان اصل الايمان بالله واليوم
الآخر وهولاء جحدوا اليوم الآخر وان آمنوا بالله
وصفاته **الصنف الثالث** الالهيون وهم المتاخرون
هم سقراط وهو استاذ افلاطون وافلاطون استاذ ارسطاطاليس
وارسطاطاليس هو الذي رتب لهم وهذب العلوم
وخمر لهم ما لم يكن مخمرا من قبل وانضج لهم ما كان فجا من
علومهم وهم بجملتهم على الصنفين الاولين من الدهرية
والطبيعية واردوا في الكشف عن فضائحهم ما اغنوا به
غيرهم وكفى الله المؤمنين القتال بتقاتلهم ثم رد
ارسطاطاليس على افلاطون وسقراط ومن كان قبله
من الالهيين ردا لم يقصر فيه حتى تبرأ عن جميعهم
الا انه استبقى ايضا من رذايل كفرهم وبدعتهم بقايا
لم يوفق للنزوع عنها فوجب تكفيرهم وتكفير شيعتهم
من المتفلسفة الاسلاميين كابن سينا والفارابي
وامثالهم على انه لم يقم بنقل علم ارسطاطاليس احد

الرياضية

من متفلسفة الاسلاميين كقيام هذين الرجلين وما نقله
غيرهم ليس يخلو عن تخبط وتخليط يتشوش فيه قلب
المطالع حتى لا يفهم وما لا يفهم كيف يرد او يقبل ومجموع
ما صح عندنا من فلسفة ارسطاطاليس بحسب نقل هذين
الرجلين ينحصر في ثلث اقسام قسم يجب التكفير به وقسم يجب
التبديع به وقسم لا يجب انكاره اصلا فلنفصله **فصل في**
اقسام علم اعلم ان علومهم بالنسبة الى الغرض
الذي تطلبه ستة اقسام رياضية ومنطقية وطبيعية
والهية وسياسية وخلقية **اما الرياضية**
فتتعلق بعلم الحساب والهندسة وعلم هيئة العالم وليس
يتعلق منه شيء بالامور الدينية نفيا واثباتا بل هي امور
برهانية لا سبيل الى مجاهدتها بعد فهمها ومعرفتها
وقد تولدت منها آفتان احديهما ان من ينظر فيها فيتعجب
من دقايقها ومن ظهور براهينها فيحسن بسبب ذلك اعتقاده
في الفلاسفة ويحسب ان جميع علومهم في الوضوح وتقد

الا سهل وفيه خير اذهب ولا يخف تسلم

البرهان كهذا العلم ثم يكون قد سمع من كفرهم وتعطيلهم
وتهاونهم بالشرع ما تداولته الالسنة فيكفر بالتقليد
المحض ويقول لو كان الدين حقا لما اختفى على هولاء
مع تدقيقهم في هذا العلم فاذا عرف بالتسامع كفرهم و
جحدهم فيدل على ان الحق هو الجحد والانكار للدين
وكم رأيت من يضل عن الحق بهذا القدر ولا مستند له
سواه واذا قيل له الحاذق في صناعة واحدة ليس يلزم
ان يكون حاذقا في صناعة فلا يلزم ان يكون الحاذق
في الفقه والكلام حاذقا في الطب ولا ان يكون الجاهل
بالعقليات جاهلا بالنحو بل لكل صناعة اهل بلغوا فيها
رتبة البراعة والسبق وان كان الحمق والجهل يلزمهم
في غيرها فكلام الاوائل في الرياضيات برهاني وفي
الالهيات تخميني لا يعرف ذلك الا من جربه وخاض فيه
فهذا اذا قرر على هذا الذي الحد بالتقليد لم يقع منه
موقع القبول بل يحمله غلبة الهوى وشهوة البطالة

اذا

وحب

فهذه

وحب التكايس على ان يصر على تحسين الظن بهم في
العلوم كلها آفة عظيمة لاجلها يجب زجر كل من يخوض
في تلك العلوم فانها وان لم يتعلق بامر الدين ولكن لما
كانت من مبادي علومهم سرى اليه شرهم وشؤمهم فقل
من يخوض فيه الا وينخلع من الدين وينحل عن رأسه لجام
التقوى **الآفة الثانية** نشأت من صديق الاسلام

فلقه

جاهل ظن ان الدين ينبغي ان ينصر بانكار كل علم منسوب اليهم
فانكر جميع علومهم وادعى جهلهم فيها حتى انكر قولهم في
الخسوف والكسوف وزعم ان ما قالوه فيهما على خلاف
الشرع فاذا قرع ذلك سمع من عرف ذلك بالبرهان القاطع
لم يشك في برهانه لكن اعتقد ان الاسلام مبني على الجهل و
انكار البرهان القاطع فازداد للفلسفة حبا وللاسلام
بغضا ولقد عظم على الدين جنايته من ظن ان الاسلام
ينصر بانكار هذه العلوم وليس في الشرع تعرض لهذه
العلوم بالنفي والاثبات ولا في هذه العلوم تعرض للامور الدينية

هذا الامر فيه ندامة لفاعله فعليك ان تصبر

قوله صلى الله عليه وسلم ان الشمس والقمر آيتان
من آيات الله لا يخسفان لموت احد ولا لحيوته واذا
رأيتم ذلك فافزعوا الى ذكر الله ليس في هذا ما يوجب انكار
علم الحساب المعرف لسير الشمس والقمر واجتماعهما او مقابلتهما
على وجه مخصوص واما قوله لكن الله اذا تجلى لشيء خضع له
فليس يوجد هذه الزيادة في الصحيح فهذا حكم الرياضيات
وآفاتها **واما المنطقيات** فلا يتعلق شيء منها بالدين نفيا
واثباتا بل هو نظر في طرق الادلة والمقاييس وشروط
مقدمات البرهان وكيفية تركيبها وشروط الحد الصحيح وكيفية
ترتيبها وان العلم اما تصور وسبيل معرفته الحد واما تصديق
وسبيل معرفته البرهان وليس في هذا ما ينبغي ان ينكر بل هو
من جنس ما ذكره المتكلمون واهل النظر في الادلة وانما
يفارقونهم بالعبارات والاصطلاحات وبزيادة الاستقصاء
في التعريفات والتشعيبات ومثال كلامهم فيها قولهم اذا ثبت ان كل
أ ب لزم ان بعض ب ا ويعبرون عن هذا بان الموجبة الكلية

تعكس

تنعكس موجبة جزئية واي تعلق لهذا بمهمات الدين
حتى يجحد وينكر واذا انكر لم يحصل من انكاره عند اهل
المنطق الا سوء الاعتقاد في عقل المنكر بل في دينه الذي
يزعم انه موقوف على مثل هذا الانكار نعم لهم نوع من الظلم
في هذا العلم وهو انهم يجمعون للبرهان شروطا يعلم
انه يورث اليقين لا محالة لكنهم عند الانتهاء الى
المقاصد الدينية ما امكنهم الوفاء بتلك الشروط بل تساهلوا
غاية التساهل وربما ينظر في المنطق من يستحسنه ويراه واضحا
فيظن ان ما ينقل عنهم من الكفريات مؤيدة بمثل تلك البراهين
فاستعجل الكفر قبل الانتهاء الى العلوم الالهية فهذه الآفة
متطرقة اليه ايضا **واما علم الطبيعيات** فهو بحث عن اجسام
العالم والسموات والكواكب وما تحتها من الاجسام المفردة
كالماء والهواء والتراب والنار ومن الاجسام المركبة
كالحيوان والنبات والمعادن وعن اسباب تغيرها
واستحالتها وامتزاجها وذلك يضاهي بحث الطبيب عن جسم

جهات

الانسان واعضائه الرئيسة والحاذقة واسباب استحالة
مزاجها وكما ليس من شروط الدين انكار علم الطب فليس من
شروطه ايضا انكار ذلك العلم الا في مسائل معينة ذكرناها
في كتاب تهافت الفلسفة وما عداها مما يجب المخالفة فعند التامل
يتبين انها مندرجة تحتها واصل جملتها ان تعلم ان الطبيعة
مسخرة لله تعالى لا تعمل بنفسها بل هي مستعملة من جهة فاطرها
والشمس والقمر والنجوم والطبايع مسخرات بامره لا فعل لشيء
منها بذاته عن ذاته **واما الالهيات** ففيها اكثر اغاليطهم
فما قدروا على الوفاء بالبراهين على ما شروا في المنطق و
لذلك كثر الاختلاف بينهم فيه ولقد قرب مذهب
ارسطاطاليس فيها من مذهب الاسلاميين على ما نقله الفارابي
وابن سينا ولكن مجموع ما غلطوا فيه يرجع الى عشرين اصلا
يجب تكفيرهم في ثلثة منها وتبديعهم في سبعة عشر ولابطال مذهبهم
في هذه المسائل العشرين صنفنا كتاب التهافت اما المسائل
الثلث فقد خالفوا فيها كافة الاسلاميين و ذلك في قولهم

ان الاجسام لا تحشر وانما المثاب والمعاقب هي الارواح
المجردة والمثوبات والعقوبات روحانية لا جسمانية
ولقد صدقوا في اثبات الروحانية وانها كائنة ايضا
ولكن كذبوا في انكار الجسمانية وكفروا بالشريعة فيما
نطقوا به ومن ذلك قولهم ان الله يعلم الكليات دون
الجزئيات وهذا ايضا كفر صريح بل الحق لا يعزب عنه علمه
مثقال ذرة في السموات ولا في الارض ومن ذلك قولهم بقدم
العالم وازليته فلم يذهب احد من المسلمين الى شيء من هذه
المسائل واما ما وراء ذلك من نفيهم الصفات وقولهم
عالم بالذات لا بعلم زايد وما يجري مجراه فمذهبهم فيها
قريب من مذهب المعتزلة ولا يجب تكفير المعتزلة بمثل ذلك وقد
ذكرنا في كتاب فصل التفرقة بين الاسلام والزندقة ما يتبين به
فساد راي من يتسارع الى التكفير في كل ما يخالف مذهبه
واما السياسيات فجميع كلامهم فيها يرجع الى الحكم المصلحية
المتعلقة بالامور الدنياوية والايالة السلطانية وانما

اخذوها من كتب الله المنزلة على الانبياء ومن حكم المأثورة
عن سلف الانبياء **واما الخلقية** فجميع كلامهم فيها
يرجع الى حصر صفات النفس واخلاقها وذكر اجناسها
وانواعها وكيفية معالجتها ومجاهدتها وانما
اخذوها من كلام الصوفية وهم المتألهون المثابرون
على ذكر الله تعالى وعلى مخالفة الهوى وسلوك الطريق
الى الله تعالى بالاعراض عن ملاذ الدنيا وقد انكشف لهم
في مجاهداتهم من اخلاق النفس وعيوبها وآفات اعمالها ما صرحوا
بها فاخذتها الفلاسفة ومزجوها بكلامهم توسلا بالتجمل
بها الى ترويج باطلهم ولقد كان في عصرهم بل في كل عصر
جماعة من المتألهين لا يخلي الله سبحانه العالم عنهم فانهم
اوتاد الارض ببركاتهم تنزل الرحمة الى اهل الارض كما ورد
في الخبر حيث قال بهم تمطرون وبهم ترزقون ومنهم اصحاب
الكهف وكانوا في سالف الازمنة على ما نطق به القرآن
فتولد من جهة مزجهم كلام النبوة وكلام الصوفية في كتبهم

آفتان آفة في حق القايل وآفة الراد واما الآفة التي
في حق الراد فعظيمة اذ ظنت طائفة من الضعفاء ان ذلك
الكلام اذا كان مدونا في كتبهم وممزوجا بباطلهم ينبغي
ان يهجر ولا يذكر بل ينكر على من يذكره اذ لم يسمعوه اولا
الا منهم فسبق الى عقلهم الضعيف انه باطل لان قائله
مبطل كالذي يسمع من النصراني قوله لا اله الا الله عيسى
رسول الله فينكره ويقول هذا كلام النصراني ولا يتوقف
ريثما يتأمل ان النصراني كافر باعتبار هذا القول
او باعتبار انكاره لنبوة محمد صلى الله عليه وسلم فان لم
يكن كافرا الا باعتبار انكاره فلا ينبغي ان يخالف في غير
ما هو به كافر مما هو حق في نفسه وان كان ايضا حقا عنده
وهذه عادة ضعفاء العقول يعرفون الحق بالرجال
لا الرجال بالحق والعاقل يقتدي بقول امير المؤمنين علي
ابن ابي طالب رضي الله عنه حيث قال لا تعرف الحق
بالرجال اعرف الحق تعرف اهله فالعاقل يعرف الحق

هذا الامر فيه رضا الله تعالى فلا تترك فانت فيه رشيد

ثم ينظر في نفس القول فان كان حقا قبله سواء كان قائله
محقا او مبطلا بل ربما يحرص على انتزاع الحق من تضاعيف
كلام اهل الضلال عالما بان معدن الذهب الرغام
ولا بأس على الصراف ان دخل يده في كيس القلاب وانتزع
الابريز الخالص من الزيف والبهرج مهما كان واثقا
ببصيرته وانما نزجر عن معاملة القلاب القروي دون
الصيرفي ويمنع من ساحل البحر الاخرق دون السابح
الحاذق ويصد عن مس الحية الصبي دون المعزم
البارع ولعمري لما غلب على اكثر الخلق ظنهم بانفسهم البراعة
والحذاقة وكمال العقل والآلة في تميز الحق عن
الضلالة وجب حسم المادة في زجر الكافة عن مطالعة كتب
اهل الضلال ما امكن اذ لا يسلمون عن الآفة الثانية
التي سنذكرها اصلا وان سلموا عن هذه الآفة التي
ذكرناها ولقد اعترض على بعض الكلمات المبثوثة
في تصانيفنا في اسرار علوم الدين طائفة من الذين لم تستحكم

في العلوم سرائرهم ولم ينفتح الى اقصى غايات المذاهب
بصائرهم وزعموا ان تلك الكلمات من كلام الاوائل
مع ان بعضها من مولدات الخواطر ولا يبعد ان يقع
الحافر على الحافر وبعضها يوجد في الكتب الشرعية واكثرها
موجود معناها في كتب الصوفية وهب انها لم توجد
الا في كتبهم فاذا كان الكلام معقولا في نفسه مؤيدا بالبرهان
ولم يكن على مخالفة الكتاب والسنة فلم ينبغي ان يهجر و
ينكر ولو فتحنا هذا الباب وتطرقنا الى ان يهجر كل
حق سبق اليه خاطر مبطل لزمنا ان نهجر كثيرا من الحق و
لزمنا ان نهجر جملة من آيات القرآن واخبار الرسول و
حكايات الصوفية وكلمات الحكماء لان صاحب كتاب اخوان
الصفاء اوردها في كتابه متشهدا بها ومستدرجا قلوب
الحمقى بواسطتها الى باطله ويتداعى ذلك الى ان يستخرج المبطلون
الحق من ايدينا لايداعهم اياها كتبهم واقل درجات
العالم ان يتميز عن العامي الغمر فلا يعاف العسل وان

احذر عن الجهل و اهله عدم الفلاح

وجده في محجمة الحجام ويتحقق ان الدم مستقذر لا لكونه
في المحجمة مستقذر لصفة في ذاته فاذا عدمت هذه الصفة في
العسل فكونه في ظرفه لا يكسبه تلك الصفة فلا ينبغي ان يوجب
له الاستقذار وهذا وهم باطل وهو غالب على اكثر الخلق
فمهما نسبت الكلام واسندته الى قائل حسن فيه اعتقادهم قبلوه
وان كان باطلا وان اسندته الى من ساء فيه اعتقادهم
ردوه وان كان حقا وابدا يعرفون الحق بالرجال ولا يعرفون
الرجال بالحق وهو غاية الضلال هذه آفة الرد الآفة
الثانية آفة القبول فان من نظر في كتبهم كاخوان الصفا وغيره
فراى ما مزجوه بكلامهم من الحكم النبوية والكلمات الصوفية ربما استحسنها
وقبلها وحسن اعتقاده فيها فيسارع الى قبول باطلهم الممزوج به
بحسن ظن حصل فيما رآه واستحسنه وذلك نوع استدراج
الى الباطل ولاجل هذه الآفة يجب الزجر عن مطالعة كتبهم
لما فيها من الغرر والخطر وكما يجب صون من لا يحسن السباحة عن
مزالق الشطوط يجب صون الخلق عن مطالعة تلك الكتب

وكما

وكما يجب صون الصبيان عن مس الحيات يجب
صون الاسماع عن اختلاط تلك الكلمات وكما
يجب على المعزم ان لا يمس الحية بين يدي ولده الطفل
اذا علم انه سيقتدي به ويظن انه مثله بل يجب عليه
ان يحذره منه بان يحذر هو في نفسه ولا يمسها بين يديه
فكذلك يجب على العالم الراسخ مثله وكما ان المعزم
الحاذق اذا اخذ الحية وميز بين الترياق والسم
واستخرج منه الترياق وابطل السم وليس له ان
يشح بالترياق على المحتاج اليه وكذلك الصراف
الناقد البصير اذا ادخل يده في كيس القلاب و
اخرج منه الابريز الخالص وافسد الزيف و
البهرج فليس له ان يشح بالجيد المرضي على من يحتاج اليه
فكذلك العالم وكما ان المحتاج الى الترياق اذا اشمأزت
نفسه عنه حيث علم انه مستخرج من الحية التي هي مركز السم
وجب تعريفه والفقير المضطر الى المال اذا نفر عن قبول

الذهب المستخرج من كمين القلب وجب تنبيهه على ان نفرته
جهل محض هو سبب حرمانه عن الفائدة التى هى مطلبه وتحتم
تعريفه ان قرب الزيف والبهرج والجيد زيفا كما لا يجعل
الزيف جيدا فكذلك قرب الجوار بين الحق والباطل
ما يجعل الحق باطلا كما لا يجعل الباطل حقا فهذا مقدار
ما اردنا ذكره من آفة الفلسفة وغائلتها القول فى مذهب
التعليم وغائلته ثم انى لما فرغت من علم الفلسفة وتحصيله
وتفهيمه وتزييف ما يزيف منه علمت ان ذلك ايضا غير واف
بكمال الغرض وان العقل ليس مستقلا بالاحاطة بجميع المطالب
ولا كاشفا للغطاء عن جميع المعضلات وكانت قد نبغت نابغة
التعليمية وشاع بين الخلق تحدثهم بمعنى تعلم الامور
من جهة الامام المعصوم القائم بالحق عنّ لى ان ابحث
عن مقالتهم لاطلع على ما فى كتابهم ثم اتفق ان ورد
علىّ امر جازم من حضرة الخلافة بتصنيف كتاب يكشف عن
حقيقة مذهبهم فلم يسعنى مدافعته وصار ذلك مستحثا

الجوار بين

من خارج ضميمة الباعث الاصلى من الباطن فانتدبت
لطلب كتبهم وجمع مقالاتهم وكان قد بلغنى بعض كلماتهم
المستحدثة التى ولدتها خواطر اهل العصر على المنهاج
المعهود من سلفهم فجمعت تلك الكلمات ورتبتها
ترتيبا محكما مقارنا للتحقيق فاستوفيت الجواب عنه
حتى انكر بعض اهل الحق مبالغتى فى تقرير حجتهم وقال
هذا سعى لهم فانهم كانوا يعجزون عن نصرة مذهبهم بمثل
هذه الشبهات لولا تحقيقك لها وترتيبك اياها وهذا
الانكار من وجه حق فلقد انكر احمد بن حنبل على الحارث
المحاسبى رحمهما الله تع تصنيفه فى الرد على المعتزلة
فقال الحارث الرد على البدعة فرض فقال احمد نعم و
لكن حكيت شبههم اولا ثم اجبت عنه فبم تأمن ان
يطالع الشبهة من يعلق ذلك بفهمه ولا يلتفت الى الجواب
او ينظر فى الجواب ولا يفهم كنهه وما ذكره احمد رحمه الله
حق ولكن فى شبهة لم تنتشر ولم تشتهر فاما اذا انتشرت

الجواب عنها واجب ولا يمكن الجواب الا بعد الحكاية و
نعم ينبغي ان لا يتكلف لهم شبهة لم يتكلفوها ولم اتكلف
انا ذلك بل كنت قد سمعت تلك الشبهة من واحد من
اصحاب المختلفين الي بعد ان كان قد التحق بهم وانتحل
مذهبهم وحكى انهم يضحكون على تصانيف المصنفين في
الرد عليهم فانهم لم يفهموا بعد حجتهم ثم ذكر تلك
الحجة وحكاها عنهم فلم ارض لنفسي ان تظن بي الغفلة
عن اصل حجتهم فلذلك اوردتها ولئلا ان يظن بي
اني وان سمعتها فلم افهمها فكذلك قررتها والمقصود اني
قررت شبهتهم الى اقصى الامكان ثم اظهرت فسادها
والحاصل انه لا حاصل عندهم ولا طائل لكلماتهم و
لولا نصرة الصديق الجاهل لما انتهت تلك البدعة
مع ضعفها الى هذه الدرجة لكن شدة التعصب دعت
الذابين عن الحق الى تطويل النزاع معهم في مقدمات
كلماتهم والى مجاهدتهم في كل ما نطقوا به فجاحدوهم

في دعواهم الحاجة الى التعليم والى المعلم وفي دعواهم
انه لا يصلح كل معلم بل لا بد من معلم معصوم وظهرت حجتهم
في اظهار الحاجة الى التعليم والى المعلم وضعف قول
المنكرين في مقابلته فاغتر بذلك جماعة وظنوا ان ذلك
من قوة مذهبهم وضعف المذهب المخالف له
ولم يفهموا ان ذلك لضعف ناصر الحق وجهله بطريقه
بل الصواب الاعتراف بالحاجة الى معلم وانه لا بد
ان يكون المعلم معصوما ولكن معلمنا المعصوم محمد
صلى الله عليه وسلم واذا قالوا هو ميت فنقول و
معلمكم غائب فان قالوا معلمنا قد علم الدعاة وبثهم في
البلاد وهو ينتظر مراجعتهم ان اختلفوا او اشكل عليهم مشكل
فنقول ومعلمنا قد علم الدعاة وبثهم في البلاد واكمل
التعليم اذ قال تعالى اليوم اكملت لكم دينكم واتممت عليكم
نعمتي وبعد كمال التعليم لا يضر موت المعلم كما لا يضر غيبته
فيبقى انهم كيف يحكمون فيما لم يسمعوه بالنص ولم يسمعوه

اذا توجهت الى الله بالصدق فالله يامن

ام بالاجتهاد بالرأي وهو مظنة الخلاف فنقول
يفعلونه ما فعله معاذ بن جبل رضي الله عنه
اذ بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم الى اليمن
اذ يحكم بالنص عند وجود النص وبالاجتهاد عند عدمه
بل كما فعله دعاتهم اذا بعدوا عن الامام الى قاضي البلاد
اذ لا يمكنهم ان يحكموا بالنص فان النصوص المتناهية
لا يستوعب الوقايع الغير المتناهية ولا يمكنه الرجوع في
كل واقعة الى بلده الامام والى ان يقطع المسافة
ويرجع فيكون المستفتي قد مات وفات الانتفاع
بالرجوع فمن اشكل عليه القبلة ليس له الا ان يصلي
باجتهاده اذ لو سافر الى بلد الامام ليعرفه القبلة
فيفوت وقت الصلوة فان جازت الصلوة الى غير
القبلة بناء على الظن ويقال ان المخطي في الاجتهاد
له اجر واحد وللمصيب له اجران فكذلك في جميع المجتهدات
وكذلك امر بصرف الزكوة الى الفقير وربما

وربما يحسبه فقيرا باجتهاده وهو غني باطنا
باخفائه ماله ولا يكون مواخذا به وان اخطاه لانه
لم يواخذ الا بموجب ظنه وان قال ظن مخالفه كظنه
فاقول هو مامور باتباع ظن نفسه كالمجتهد في القبلة
يتبع الشافعي ام اباحنيفة او غيرهما فاقول والمقلد
في القبلة عند الاشتباه اذا اختلف عليه المجتهدون
كيف يصنع فنقول له مع نفسه اجتهاد في معرفة الافضل
الاعلم بدلايل القبلة فيتبع ذلك الاجتهاد فكذلك في المذاهب
ورد الخلق الى الاجتهاد ضرورة الانبياء والايمة
لانهم يخطئون بل قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
انا احكم بالظاهر والله يتولى السرائر اى انا احكم
بغالب الظن الحاصل من قول الشهود وربما اخطي فيه
فلا سبيل الى الامن من الانبياء الخطاء في مثل هذه المجتهدات
فكيف نطمع في ذلك ولهم ههنا سوال اخر احدهما
قولهم هذا وان صح في المجتهدات فلا يصح في قواعد العقايد

فان قال والمقلد يتبع ظنه وان خالف غيره صح

او نرك نومك عن ما صد حتى لا تندم

اذ المخطئ فيه عفو معذور فكيف السبيل اليه فاقول
قواعد العقايد عليها الكتاب والسنة وما رواه من التفصيل
المتنازع فيه يعرف الحق فيه بالقسطاس المستقيم وهي
الموازين التي ذكرها الله تع في كتابه وهي خمسة ذكرتها
في كتاب القسطاس المستقيم فان قال خصومك يخالفونك
في ذلك الميزان فاقول لا يتصور ان يفهم ذلك الميزان ثم يخالف فيه
اذ لا يخالف فيه اهل التعليم لاني استخرجته من القرآن
وتعلمته ولا يخالف فيه اهل المنطق لانه موافق لما شرطوه
في المنطق غير مخالف له ولا يخالف فيه المتكلم لانه
موافق لما يذكره في ادلة النظريات وبه يعرف الحق في الكلاميات
فان قال ان في يدك مثل هذا الميزان فلم لا ترفع الخلاف
بين الخلق فاقول لو اصغوا الي لرفعت الخلاف بينهم وذكرت
طريق رفع الخلاف في كتاب القسطاس المستقيم فتامله
لتعلم انه حق فانه يرفع الخلاف قطعا لو اصغوا ولا يصغون
اليه باجمعهم بل قد اصغى الي طائفة فرفعت الخلاف بينهم واما

يريد

يريد رفع الخلاف بينهم مع عدم اصغائهم فلم لم يرفع
الى الآن علي كرم الله وجهه وهو رأس الائمة رضوان الله
عليهم اجمعين وتدعي انه يقدر على حمل كافتهم على الاصغاء
قهرا فلم لم يحملهم الى الآن ولاي اجل تؤخر وهل حصل بين
الخلق بسبب دعوته الا زيادة خلاف وزيادة مخالف نعم
كان يخشى من الخلاف نوع من الضرر الى ان ينتهي الى سفك الدماء
وتخريب البلاد وايتام الاولاد وقطع الطرق والاغارة
على الاموال وقد حدث في العالم من بركات رفعكم
الخلاف من الخلاف ما لم يكن بمثله عهد فان قلت ادعيت
انك ترفع الخلاف بين الخلق ولكن المتحير بين المذاهب
المتعارضة والاختلافات المتقابلة لم يلزمه الاصغاء اليك
دون خصمك واكثر الخصوم يخالفونك ولا فرق
بينهم وبينك وهذا سؤالهم الثاني فاقول هذا اولا ينقلب
عليك فانك اذا دعوت هذا المتحير الى نفسك فيقول
لم صرت بمتابعتك اولى من مخالفيك واكثر اهل العلم

لا تخف فالله معك في هذا الامر

الوزن كما يفهم متعلم علم الحساب نفس الحساب
وكون المحاسب المعلم عالما بالحساب وصادقا فيه وقد
اوضحت ذلك في كتاب القسطاس المستقيم في مقدار
عشرين ورقة فليتامل وليس المقصود الآن بيان مذهبهم
فقد ذكرت ذلك في الكتاب المستظهري اولا وفي كتاب حجة
الحق ثانيا وهو جواب كلام لهم عرض علي ببغداد
وفي كتاب مفصل الخلاف الذي اثنا عشر فصلا ثالثا
وهو جواب كلام عرض علي بهمدان وفي كتاب
الدرج المرقوم بالجداول رابعا وهو من ركيك
كلامهم الذي عرض علي بطوس وهو في كتاب القسطاس
المستقيم خامسا وهو كتاب مستقل بنفسه مقصوده
بيان ميزان العلوم واظهار الاستغناء عن الامام المعصوم
لمن احاط به بل المقصود ان هؤلاء ليس معهم شيء من
الشفاء المنجي من ظلمات الاراء بل هم مع عجزهم عن اقامة
البرهان على تعيين الامام طال ما جربناهم فصدقناهم

في الحاجة الى التعليم والى المعلم المعصوم وانه
الذي عيّنوه ثم سألناهم عن العلم الذي تعلموه
من هذا المعصوم وعرضنا عليهم اشكالات فلم
يفهموها فضلا عن القيام بحلها فلما عجزوا احالوا
على الامام الغايب وقالوا لا بد من السفر اليه والعجب
انهم ضيعوا عمرهم في طلب المعلم وفي التبجح بالظفر به
ولم يتعلموا منه شيئا اصلا كالمتضمخ بالنجاسة يتعب في
طلب الماء حتى اذا وجده لم يستعمله وبقي متضمخا
بالخبائث ومنهم من ادعى شيئا من علمهم وكان حاصل
ما ذكره شيئا من ركيك فلسفة فيثاغورس وهو رجل
من قدماء الاوائل ومذهبه اركّ مذاهب الفلاسفة
وقد رد عليه ارسطاطاليس بل استركّ كلامه واسترذله
وهو المحكي في كتاب اخوان الصفاء وهو على التحقيق حشو
الفلسفة فالعجب ممن يتعب طول عمره في العلم ثم
يقنع بمثل ذلك العلم الركيك المستغث ويظن به

صوفية

انه ظفر باقصى مقاصد العلوم فهولآء ايضا جربناهم

وسبرناهم ظاهرهم فرجع حاصلهم الى الاستدراج وباطنهم

العوام وضعفاء العقول ببيان الحاجة الى المعلم

ومجادلتهم في انكارهم الحاجة الى التعليم بكلام

قوي مفحم حتى اذا ساعدهم على الحاجة الى المعلم

مساعد وقال هات علمه وافدنا من تعليمه وقف

وقال الآن اذا سلمت لي جوابا فاطلبه فانما غرضي هذا

القدر فقط اذ علم انه لو زاد على ذلك لافتضح

لعجز عن حل ادنى المشكلات بل عجز عن فهمه فضلا

من جوابه فهذا حقيقة حالهم فلنخبر نقلهم فلما خبرناهم

نفضنا اليد عنهم ايضا

القول في طرق الصوفية

ثم اني لما فرغت من هذه العلوم اقبلت بهمتي على طريق

الصوفية وعلمت ان طريقتهم انما يتم بعلم وعمل وكان حاصل علومهم

قطع عقبات النفس والتنزه عن اخلاقها المذمومة

وصفاتها الخبيثة حتى يتوصل بها الى تخلية القلب عن غير

الله وتحليته بذكر الله تعالى وكان العلم ايسر من العمل

فابتدأت بتحصيل علمهم من مطالعة كتبهم مثل قوت القلوب

لابي طالب المكي وكتب الحارث المحاسبي والمتفرقات

المأثورة عن الجنيد والشبلي وابي يزيد البسطامي

قدس الله ارواحهم وغير ذلك من المشايخ حتى اطلعت

على كنه مقاصدهم العلمية وحصلت ما يمكن ان يحصل من

طريقهم بالتعلم والسماع فظهر لي ان اخص خواصهم

ما لا يمكن الوصول اليه بالتعلم بل بالذوق والحال و

تبدل الصفات وكم من الفرق بين ان تعلم حد الصحة وحد

الشبع واسبابهما وشروطهما وبين ان تكون صحيحا

شبعان وبين ان تعرف حد السكر وانه عبارة عن حالة

تحصل عن استيلاء ابخرة تتصاعد من المعدة الى

معادن الفكر وبين ان يكون سكران بل السكران لا يعرف

حد السكر واركانه وما معه من السكر شيء والطبيب في حالة

المرض يعرف حد الصحة واسبابها وادويتها وهو فاقد الصحة

فكذلك الفرق بين ان تعرف حقيقة الزهد وشروطها
واسبابها وبين ان يكون حالك الزهد وعزوف النفس
عن الدنيا فعلمت يقينا انهم ارباب الاحوال لا اصحاب الاقوال
وان ما يمكن تحصيله بطريق العلم فقد حصلته ولم يبق
الا ما لا سبيل اليه بالتعلم والسماع بل بالذوق والسلوك
وكان قد حصل معي من العلوم التي مارستها ومن المسالك
التي سلكتها في التفتيش عن صنفي العلوم الشرعية والعقلية
ايمان يقيني بالله تعالى وبالنبوة وباليوم الاخر
فهذه الاصول الثلثة من الايمان كانت قد رسخت في نفسي لا بدليل
معين محرر بل باسباب وقراين وتجارب لا تدخل تحت الحصر
تفاصيلها وكان قد ظهر عندي انه لا مطمع في سعادة الاخرة الا بالتقوى
وكف النفس عن الهوى وان راس ذلك كله قطع علاقة
القلب عن الدنيا والتجافي عن دار الغرور والانابة الى دار الخلود
والاقبال بكنه الهمة على الله تعالى وان ذلك لا يتم
الا بالاعراض عن الجاه والمال والهرب من الشواغل

والعلايق

والعلايق ثم لاحظت احوالي فاذا انا منغمس في
العلايق وقد احدقت بي من الجوانب ولاحظت اعمالي
واحسنها التدريس والتعليم واذا انا فيها مقبل على
علوم غير مهمة ولا نافعة في طريق الاخرة ثم تفكرت
في نيتي في التدريس فاذا هي غير خالصة لوجه الله تعالى
بل باعثها ومحركها طلب الجاه وانتشار الصيت فتيقنت
اني على شفا جرف هار واني قد اشفيت على
النار ان لم اشتغل بتلافي الاحوال فلم ازل اتفكر فيه
مدة وانا بعد على مقام الاختيار اصمم عزمي على الخروج
من بغداد ومفارقة تلك الاحوال يوما واحل العزم يوما
واقدم فيه رجلا واوخر عنه اخرى لا تصدق لي رغبة في
طلب الاخرة بكرة الا ويحمل عليها جند الشهوة حملة فيفترها
عشية فصارت شهوات الدنيا تجاذبني بسلاسلها الى
المقام ومنادي الايمان ينادي الرحيل الرحيل
فلم يبق من العمر الا القليل وبين يديك السفر الطويل و

الفرج يكون قريبا ان شاء الله تعالى

جميع ما انت فيه رياء وتخييل فان لم تستعد الآن
للآخرة فمتى تستعد وان لم تقطع الآن هذه العلائق
فمتى تقطع فعند ذلك تنبعث الداعية وينجزم العزم على
الهرب والفرار ثم يعود الشيطان ويقول هذه
حالة عارضة اياك ان تطاوعها فانها سريعة الزوال
فان اذعنت لها وتركت هذا الجاه العريض والشان
المنظوم الخالي عن التكدير والتنغيص والامر المسلم
الصافي عن منازعة الخصوم ربما التفتت اليه نفسك ولا
يتيسر لك المعاودة فلم ازل اتردد بين تجاذب شهوات
الدنيا ودواعي الدين قريبا من ستة اشهر اولها
رجب سنة ست وثمانين واربعمائة وفي هذا الشهر جاوز
حد الاختيار الى الاضطرار اذ اقفل الله على لساني حتى
اعتقل عن التدريس فكنت اجاهد نفسي ان ادرس
يوما واحدا تطييب القلوب المختلفة فكان لا ينطلق
لساني بكلمة ولا استطيعها البتة حتى اورثت هذه

العقلة

العقلة في اللسان حزنا في القلب بطلت معه قوة
الهضم ومراءة الطعام والشراب فكان لا ينساغ
لي شربة ولا ينهضم لي لقمة وتعدى ذلك الى
ضعف القوى حتى قطع الاطباء طمعهم من العلاج
وقالوا هذا امر نزل بالقلب ومنه سرى الى المزاج
فلا سبيل اليه بالعلاج الا بان يتروح السر عن الهم
المسلم ثم لما احسست بعجزي وسقط بالكلية
اختياري التجأت الى الله تعالى التجاء
المضطر الذي لا حيلة له فاجابني الذي يجيب المضطر
اذا دعاه وسهل على قلبي الاعراض عن الجاه
والمال والاهل والاولاد واظهرت عزم
الخروج الى مكة وانا اوري في نفسي سفر الشام
حذرا من ان يطلع الخليفة وجملة الاصحاب
على عزمي في المقام بالشام فتلطفت بلطائف
الحيل في الخروج من بغداد على عزم ان لا اعاودها

لا تخف ان تطال الخير لانك ممن الفقرا ان شاء الله تعالى

ابدا فاستهدفت لائمة اهل العراق كافة اذ لم يكن
فيهم من يجوز ان يكون الاعراض عما كنت فيه
سببا دينيا اذ ظنوا ان ذلك هو المنصب الاعلى في
الدين وكان ذلك مبلغهم من العلم ثم ارتبك الناس
في الاستنباطات وظن من بعد من العراق ان ذلك
كان لاستشعار من جهة الولاة واما من قرب من الولاة
وكان يشهد الحاحهم في التعلق بي والانكباب علي
والاعراض عنهم والالتفات الى قولهم فيقولون هذا
امر سماوي ليس له سبب الا عين اصابت اهل الاسلام وزمرة
العلم ففارقت بغداد وفرقت ما كان معي من مال ولم ادخر
الا قدر الكفاف وقوت الاطفال ترخصا بان مال
العراق مرصد للمصالح لكونه وقفا على المسلمين فلم
ار في العالم مالا ياخذه العالم لعياله اصلح منه
ثم دخلت الشام واقمت به قريبا من سنتين لا شغل لي
الا العزلة والخلوة والرياضة والمجاهدة اشتغالا

بتزكية

بتزكية النفس وتهذيب الاخلاق وتصفية القلب
لذكر الله تعالى كما كنت حصلته من علم الصوفية فكنت
اعتكف مدة في مسجد دمشق اصعد منارة المسجد طول
النهار واغلق بابها على نفسي ثم دخلت منها الى
بيت المقدس ادخل كل يوم الصخرة واغلق
بابها على نفسي ثم تحركت في داعية فريضة الحج
والاستمداد من بركات مكة والمدينة وزيارة رسول الله
صلى الله عليه وسلم بعد الفراغ من زيارة الخليل
صلوات الله عليه فسرت الى الحجاز ثم جذبتني
الهمم ودعوات الاطفال الى الوطن فعاودته
بعد ان كنت ابعد الخلق عن الرجوع اليه واثرت
العزلة به ايضا حرصا على الخلوة وتصفية القلب
للذكر وكانت حوادث الزمان ومهمات العيال
وضرورات المعيشة تغير في وجه المراد وتشوش
صفوة الخلوة وكان لا يصفو الحال الا في اوقات

متفرقة لكني مع ذلك لا اقطع طمعي منها فتدفعني
عنها العوايق واعود اليها ودمت على ذلك مقدار
عشر سنين وانكشف في اثناء هذه الخلوات امور
لا يمكن استقصاؤها والقدر الذي اذكره لينتفع به
اني علمت يقينا ان الصوفية هم السالكون لطريق
الله خاصة وان سيرتهم احسن السير وطريقتهم
اصوب الطرق واخلاقهم ازكى الاخلاق بل لو جمع
عقل العقلاء وحكمة الحكماء وعلم الواقفين على
اسرار الشرع من العلماء ليغيروا شيئا من سيرهم واخلاقهم
ويبدلوه بما هو خير منه لم يجدوا اليه سبيلا فان جميع
حركاتهم وسكناتهم في ظاهرهم وباطنهم مقتبسة
من نور مشكوة النبوة وليس وراء نور النبوة على وجه الارض
نور يستضاء به وبالجملة فماذا يقول القائلون في
طريقة طهارتها وهي اول شروطها تطهير القلب بالكلية
عما سوى الله تعالى ومفتاحها الجاري مجرى التحريم

من الصلوة استغراق القلب بذكر الله تعالى
واخرها الفناء بالكلية في الله وهذا اخرها
بالاضافة الى ما يكاد يدخل تحت الاختيار والكشف
من اوايلها وهي على التحقيق اول الطريقة وما
قبل ذلك كالدهليز للسالك اليه ومن اول الطريقة
يبتدي المكاشفات حتى انهم في يقظتهم يشاهدون الملائكة
وارواح الانبياء ويسمعون منهم اصواتا ويقتبسون
منهم فوايد ثم يترقى من مشاهدة الصور والامثال
الى درجات تضيق عنها نطاق النطق فلا يحاول
معبر ان يعبر عنها الا اشتمل لفظه على خطاء صريح
لا يمكنه الاحتراز منه وعلى الجملة ينتهي الامر الى قرب يكاد
يتخيل منه طائفة الحلول وطائفة الاتحاد وطائفة
الوصول وكل ذلك خطاء وقد بينا وجه الخطاء في كتاب
المقصد الاقصى والذي زايلته تلك الحالة لا ينبغي ان
يزيد على ان يقول وكان ما كان مما لست اذكره فظن خيرا

الوقت قريب لا تعجل ولا تندم

ولا تسئل عن الخبر وبالجملة فمن لم يرزق منه شيء
بالذوق فليس يدرك من حقيقة النبوة الا الاسم و
كرامات الاولياء على التحقيق هي بدايات الانبياء
وكان ذلك اول حال رسول الله صلى الله عليه وسلم
حيث يتبتل الى جبل حراء حين كان يخلو فيه
بربه ويتعبد حتى قالت العرب ان محمدا يعشق ربه
وهذه حالة يتحققها بالذوق من سلك سبيلها
ومن لم يرزق الذوق فيتيقنها بالتجربة والتسامع
ان اكثر معهم الصحبة حتى يفهم ذلك بقراين الاحوال يقينا
ومن جالسهم استفاد منهم هذا الايمان فهم القوم
لا يشقى بهم جليسهم ومن لم يرزق صحبتهم فيعلم
امكان ذلك يقينا بشواهد على ما ذكرناه في كتاب
عجايب القلب من كتب الاحياء والتحقيق بالبرهان
علم والملابسة بتلك الحالة ذوق والقبول
من التسامع والتجربة بحسن الظن ايمان وهذه ثلثة

درجات

درجات يرفع الله الذين امنوا منكم والذين
اوتوا العلم درجات ووراء هؤلاء قوم جهال
هم المنكرون لاصل ذلك المتعجبون من هذا
الكلام يستمعون ويسخرون ويقولون العجب
انهم كيف يهتدون وفيهم قال الله تعالى و
منهم من يستمع اليك حتى اذا خرجوا من عندك
قالوا للذين اوتوا العلم ماذا قال انفا اولئك
الذين طبع الله على قلوبهم واتبعوا اهواءهم ومما
بان لى بالضرورة من ممارسة طريقهم حقيقة
النبوة وخاصيتها ولا بد من التنبيه على اصلها
لشدة مسيس الحاجة اليها

القول في حقيقة النبوة

واضطرار كافة الخلق اليها اعلم ان جوهر
الانسان في اول الفطرة خلق خاليا ساذجا
لا خبر معه من عالم الله تعالى والعوالم كثيرة
لا يحصيها الا الله كما قال وما يعلم جنود ربك

إلا هو وإنما خبره من العوالم بواسطة الإدراك
فكل إدراك من الإدراكات خلق ليطّلع الإنسان
به على عالم من الموجودات ونعني بالعوالم أجناس
الموجودات فأول ما خلق في الإنسان حاسة اللمس
فيدرك بها أجناسا من الموجودات كالحرارة و
البرودة والرطوبة واليبوسة والخشونة وغيرها
واللمس قاصر عن إدراك الألوان والأصوات قطعا
بل هي كالمعدومة في حق اللمس ثم يخلق له حاسة البصر
فيدرك به الألوان والأشكال وهو أوسع عوالم المحسوسات
ثم ينفتح السمع فيسمع الأصوات والنغمات ثم يخلق له
الذوق وكذلك إلى أن تجاوز عالم المحسوسات ثم يخلق
فيه التمييز وهو قريب من سبع سنين وهو طور آخر
من أطوار وجوده فيدرك فيه أمورا زائدة على المحسوسات
لا يوجد منها شيء في عالم الحس ثم يترقى إلى طور آخر
فيخلق له العقل فيدرك الواجبات والجائزات

واللين

والمستحيلات وأمورا لا توجد في الأطوار التي قبله
ووراء العقل طور آخر ينفتح فيه عين أخرى يبصر بها
الغيب وما سيكون في المستقبل وأمورا أخر العقل
معزول عنها كعزل قوة التمييز عن إدراك المعقولات
وكعزل قوة الحس عن مدركات التمييز وكما أن المميز
لو عرض عليه مدركات العقل لأباه واستبعده فكذلك
بعض العقلاء أبوا مدركات النبوة فاستبعدوها وذلك
عين الجهل إذ لا مستند له إلا أنه طور لم يبلغه ولم يوجد
في حقه فظن أنه غير موجود في نفسه والأكمه لو لم يعلم
بالتواتر والتسامع الألوان والأشكال وحكي له
ذلك ابتداء لم يفهمها ولم يقر بها وقد قرب الله تعالى
ذلك على خلقه بأن أعطاهم أنموذجا من خاصية النبوة
وهو النوم إذ النائم يدرك ما سيكون من الغيب
إما صريحا وإما في كسوة مثال يكشف عنه التعبير
وهذا لو لم يجربه الإنسان من نفسه وقيل له

من الناس من يسقط مغشيا عليه كالميت فيزول
احساسه وسمعه وبصره فيدرك الغيب لانكره
واقام البرهان على استحالته وقال القوى الحاسة
اسباب الادراك فمن لا يدرك الشى مع وجودها
وحضورها فبان لا يدرك مع ركودها اولى
واحق وهذا نوع قياس يكذبه الوجود والمشاهدة
فكما ان العقل طور من اطوار الآدمي يحصل فيه عين
يبصر بها انواعا من المعقولات والحواس معزولة
عنها فالنبوة ايضا عبارة عن طور يحصل فيه عين
لها نور يظهر في نورها الغيب وامور لا يدركها العقل
والشك في النبوة اما ان يقع في امكانها او في
وجودها ووقوعها او في حصولها لشخص معين
ودليل امكانها وجودها ودليل وجودها وجود معارف في العالم
لا يتصور ان ينال بالعقل كعلم الطب والنجوم فان
من بحث عنها علم بالضرورة فانها لا يدرك

الا بالهام الهي وتوفيق رباني من جهة الله تعالى
ولا سبيل اليه بالتجربة فمن الاحكام النجومية ما
لا يقع الا في كل الف سنة مرة فكيف ينال ذلك بالتجربة
وكذلك خواص الادوية فيتبين بهذا البرهان ان
من الامكان وجود طريق ادراك هذه الامور التى
لا يدركها العقل وهو المراد بالنبوة لان النبوة
عبارة عنها فقط بل ادراك هذا الجنس الخارج
من مدركات العقل احدى خواص النبوة ولها خواص
كثيرة سواه وما ذكرناها فقطرة من بحرها انما
ذكرناها لان معك انموذجا منها وهو مدركاتك
في النوم ومعك علوم من جنسها في الطب والنجوم
وهي معجزات الانبياء ولا سبيل اليها للعقلاء ببضاعة
العقل اصلا واما ما عدا هذا من خواص النبوة فانما
يدرك بالذوق من سلوك طريق التصوف لان
هذا انما فهمته بانموذج رزقته وهو النوم ولولاه

اذا عزمت [illegible] عمل توكل على الله

لما صدقت به فان كان للنبي خاصية ليس لك
منها انموذج فلا تفهمها اصلا فكيف تصدق بها
وانما التصديق بعد التفهم وذلك الانموذج
تحصيل في اوايل طريق التصوف فيحصل به
نوع من القدر الصالح ونوع من التصديق بما
لم يحصل بالقياس اليه فهذه الخاصية الواحدة
تكفيك للايمان باصل النبوة فان وقع لك الشك
في شخص معين انه نبي ام لا فلا يحصل اليقين الا
بمعرفة احواله اما بالمشاهدة او بالتواتر او
بالتسامع فانك اذا عرفت الطب والفقه يمكنك ان
تعرف الفقهاء والاطباء بمشاهدة احوالهم و
سماع اقوالهم فان لم تشاهد فلا تعجز ايضا عن معرفة
كون الشافعي رضي الله عنه فقيها وكون جالينوس
طبيبا معرفة بالحقيقة لا بالتقليد عن الغير بل بان
تتعلم شيا من الطب والفقه فتطالع كتبهما و

الذوق

وتصانيفهما

٣٩

وتصانيفهما فيحصل لك علم ضروري بحالهما
فكذلك اذا فهمت معنى النبوة فاكثر النظر في
القرآن والاخبار يحصل لك العلم الضروري
بكونه صلى الله عليه وسلم على اعلى درجات
النبوة واعضد ذلك بتجربة ما قاله في العبادات
وتاثيرها في تصفية القلوب وكيف صدق في قوله
من عمل بما علم ورثه الله علم ما لم يعلم وكيف صدق
في قوله من اعان ظالما سلطه الله عليه وكيف صدق
في قوله من اصبح وهمومه هم واحد كفاه الله هموم الدنيا
والاخرة فاذا جربت ذلك في الف والفين والالاف و
حصل لك علم ضروري لا يتمارى فيه فمن هذا الطريق
اطلب اليقين بالنبوة لا من قلب العصا ثعبانا وشق
القمر فان ذلك اذا نظرت اليه وحده ولم ينضم اليه
القراين الكثيرة الخارجة عن الحصر ربما ظننت انه
سحر وانه تخييل وانه من الله تع اضلال فانه يضل من يشاء

فان فعلت في الامر نجحت ان شاء الله تعالى

ويهدي من يشاء ويرد عليك اسولة المعجزات فاذا
كان مستند ايمانك كلام منظوم في وجه دلالة
المعجزة فينخرم ايمانك بكلام مرتب في وجه الاشكال
والشبهة عليها فليكن مثل هذه الخوارق واحدى
القراين والدلايل في جملة نظرك حتى يحصل لك علم
ضروري لايمكنك ذكر مستنده على التعيين كالذي
يخبره جماعة بخبر متواتر لايمكنه ان يذكر ان التعيين
مستفاد من قول واحد معين من حيث لايدري ولا يخرج
عن جملة ذلك ولا بتعين الاحاد فهذا هو الايمان
القوي العلمي واما الذوق فهو كالمشاهدة و
الاخذ باليد ولايوجد الا في طريق الصوفية فهذا القدر
من حقيقة النبوة كاف في الغرض الذي اقصده الآن
وساذكر وجه الحاجة الى ذكره **القول في سبب معاودة**
نشر العلم بعد الاعراض عنه ثم اني لما واظبت
على العزلة والخلوة قريبا من عشر سنين وبان لي

في

٤

في اثناء ذلك على الضرورة من اسباب لا احصيها
ان للانسان بدنا وقلبا واعني بالقلب حقيقة روحه
التي هي محل معرفة الله تعالى دون اللحم الذي يشارك فيه
الميت والبهيمة وان البدن له صحة بها سعادته ومرض
فيه هلاكه وان القلب كذلك له صحة وسلامة ولا ينجو
الا من اتى الله بقلب سليم وله مرض فيه هلاكه كما قال
الله في قلوبهم مرض وان الجهل بالله سم مهلك وان
معصية الله تعالى بمتابعة الهوى داؤه الممرض وان
معرفة الله تعالى ترياقه المحيي وطاعته بمخالفة الهوى
دواؤه الشافي وانه لا سبيل الى معالجته بازالة
مرضه وكسب صحته الا بالادوية كما لا سبيل في معالجة
البدن الا بذلك وكما ان ادوية البدن يؤثر في الصحة بخاصية
فيها لايدركها العقلاء ببضاعة العقل بل يجب فيها
تقليد الاطباء الذين اخذوها من الانبياء الذين
اطلعوا بخاصية النبوة على خواص الاشياء فكذلك بان

لي

فليتوكل على الله كي اذهب الى ما قصدت

لى على الضرورة ان ادوية العبادات بحدودها
ومقاديرها المحدودة المقدرة من جهة الانبياء
لايدرك تأثيرها ببضاعة عقل العقلاء بل يجب فيها وجه صح
تقليد الانبياء الذين ادركوا تلك الخواص بنور النبوة
لا ببضاعة العقل وكما ان الادوية تركّب من اخلاط مختلفة
النوع والمقدار وبعضها ضعف البعض في الوزن
ولا يخلوا اختلاف مقاديرها عن سرّ من قبيل الخوا
فكذلك العبادات التي هي ادوية القلوب مركّبة
من افعال مختلفة النوع والمقدار حتى ان السجود
ضعف الركوع وصلوة الصبح نصف صلوة الظهر في
المقدار ولا يخلو عن سرّ من الاسرار هي من
قبيل الخواصّ التي لا يطّلع عليها الا بنور النبوة ولقد
تحامق وتجاهل جدّا من اراد ان يستنبط بطريق
العقل لها حكمة او ظن انها ذكرت على الاتفاق
لا عن سرّ الهي فيها يقتضيها بطريق الخاصية وكما ان

في الادوية

في الادوية اصولا هي اركانها وزوايد هي متمماتها
لكل واحد منها خصوص تأثير في اعمال اصولها
كذلك السنن والنوافل متممات لتكميل آثار اركان
العبادات وعلى الجملة فالانبياء اطباء امراض القلوب
وانما فائدة العقل وتصرفه ان عرفنا ذلك وشهد
بصدق النبوة وبعجز نفسه عن درك ما يدرك بعين النبوة
واخذ بايدينا وسلّمنا اليها تسليم العميان الى
القايدين وتسليم المرضى المتحيّرين الى الاطبّاء
المشفقين فالى ها هنا مجرى العقل ومخطاه وهو
بعد ذلك الا عن تفهّم ما يلقيه الطبيب اليه فهذا
امور عرفناها بالضرورة الجارية مجرى المشاهدة
في مدة الخلوة والعزلة ثم رأينا فتور الاعتقاد في
اصل النبوة ثم في حقيقة النبوة ثم في العمل بما شرحته
النبوة وتحققنا شيوع ذلك بين الخلق فنظرت
الى اسباب فتور الخلق وضعف ايمانهم به فاذا

لا تغير مكانك ولا ترح وانت تجد خير من الله تعا

هي اربعة سبب من الخائضين في علم الفلسفة و
سبب من الخايضين في طريق التصوف وسبب من
المنتسبين الى دعوى التعليم وسبب من معاملة
الموسومين من العلماء فيما بين الناس فاني تتبعت مدة
احاد الخلق اسال من يقصر منهم في متابعة الشرع و
اساله عن شبهته وابحث عن عقيدته وسره
واقول له ما لك تقصر فيها فان كنت تؤمن بالاخرة
ولست تستعد لها وتبيعها بالدنيا فهذه حماقة
فانك لا تبيع الاثنين بواحد فكيف تبيع ما لا نهاية
له بايام معدودة وان كنت لا تؤمن بها فانت كافر
فدبر لنفسك في طلب الايمان وانظر ما سبب كفرك
الخفي الذي هو مذهبك باطنا وهو سبب جرأتك
ظاهرا وان كنت لا تصرح به تجملا بالايمان وتشوقا
بذكر الشرع فقائل يقول ان لو وجبت المحافظة
عليه لكان العلماء اجدر بذلك فلان من المشاهير

بين

بين الفضلاء لا يصلي وفلان يشرب الخمر وفلان
ياكل الاموال من الاوقاف واموال اليتامى وفلان
ياكل ادرار السلطان ولا يحترز من الحرام وفلان
ياخذ الرشوة على القضاء والشهادة وهلم جرا الى امثاله
وقائل ثاني يدعي علم التصوف ويزعم اني قد بلغت مبلغا
ترقيت عن الحاجة الى العبادة وقائل ثالث يتعلل بشبهة
اخرى من شبهات اهل الاباحة وهؤلاء هم الذين ضلوا
من طريق التصوف وقائل رابع لقي اهل التعليم ويقول
الحق مشكل والطريق اليه منسد والاختلاف فيه كثير وليس بعض
المذاهب اولى من البعض وادلة العقول متعارضة فلا ثقة
براي اهل الراي والداعي الى التعليم محتكم لا حجة له
فكيف ندع اليقين بالشك وقائل خامس يقول لست افعل
هذا تقليدا ولكني قرات علم الفلسفة وادركت حقيقة
النبوة وان حاصلها يرجع الى الحكمة والمصلحة وان
المقصود من تعبداتها ضبط عوام الخلق وتقييدهم عن

او سبب الامانة بيدوتشا

التقابل والتنازع والاسترسال في الشهوات
فما انا من العوام الجهال حتى ادخل في التكليف
وانما انا من الحكماء اتبع الحكمة وانا بصير بها
مستغن فيها عن التقليد هذا منتهى ايمان من قرأ
فلسفة الالهيين منهم وتعلم من كتب ابن سينا وابي
نصر الفارابي وهولاء المتجملون منهم بالاسلام وربما
ترى الواحد منهم يقرأ القران ويحضر الجماعات
والصلوات ويعظم الشريعة بلسانه ولكنه مع ذلك
لا يترك شرب الخمر وانواعا من الفسق والفجور و
اذا قيل له ان كانت النبوة غير صحيحة فلم تصلي
فربما قال رياضة الجسد وعادة البلد وحفظ المال
والولد وربما قال الشريعة صحيحة والنبوة حق فيقال
فلم تشرب الخمر فيقول انما نهي عن الخمر لانها تورث العداوة
والبغضاء وانا بحكمتي محترز عن ذلك واني اقصد به
تشحيذ خاطري حتى ابن سينا ذكر في وصية له كتب

فيها

فيها انه عاهد الله تعالى على كذا وكذا وان
يعظم الاوضاع الشرعية ولا يقصر في العبادات
الدينية ولا يشرب تلهيا بل تداويا وتشفيا وكان
منتهى حالته في صفاء الايمان والتزام العبادات
ان استثنى شرب الخمر لغرض التشفي فهذا ايمان
من يدعي الايمان منهم وقد انخدع به جماعة وزادهم انخداعا
ضعف اعتراض المعترضين عليهم بمجاهدة علم
الهندسة والمنطق وغير ذلك مما هو ضروري
لهم على ما نبهنا عليه من قبل فلما رأيت اصناف
الخلق قد ضعف ايمانهم الى هذا الحد بهذه الاسباب
ورأيت نفسي مليا بكشف هذه الشبهة حتى كان افضاح
هولاء ايسر عندي من شربة ماء لكثرة خوضي في علومهم
وطرقهم اعني طرق الصوفية والفلسفة والتعليمية والمترسمين
من العلماء انقدح في نفسي ان ذلك متعين في هذا
الوقت محتوم فماذا تغنيك الخلوة والعزلة وقد عم

انه

تصدق شيئا فيما يريد اذ يهب اليها يكون في امان الله وحفظه

الداء ومرض الاطباء واشرف الخلق على الهلاك ثم قلت
في نفسي ومتى تستقل انت بكشف هذه الغمة
فلو اشتغلت بدعوة الخلق عن طرقهم الى الحق لعاداك
اهل الزمان باجمعهم وانى تقاومهم وكيف تعايشهم
ولا يتم ذلك الا بزمان ساعد وسلطان متدين
قاهر فترخصت بيني وبين الله تعالى بالاستمرار
على العزلة تعللا بالعجز عن اظهار الحق بالحجة
فقدر الله سبحانه وتعالى ان حرك داعية سلطان
الوقت في نفسه لا بتحريك من خارج فامر امر الزام بالنهوض
الى نيسابور لتدارك هذه الفترة وبلغ الالزام
حدا كاد ينتهي لو اصررت على الخلاف الى حد الوحشة
فخطر لي ان سبب الرخصة قد ضعف فلا ينبغي ان يكون
باعثك على ملازمة العزلة الكسل والاستراحة وطلب عز
النفس وصونها عن اذى الخلق ولم ترخص نفسك
لعسر معاناة الخلق والله تعالى يقول الم احسب الناس

ان يتركوا ان يقولوا آمنا وهم لا يفتنون ولقد
فتنا الذين من قبلهم الآية ويقول عز وجل لرسوله
وهو اعز خلقه ولقد كذبت رسل من قبلك فصبروا
على ما كذبوا واوذوا حتى اتاهم نصرنا ولا مبدل لكلمات
الله ولقد جاءك من نبإ المرسلين ويقول عز وجل
يس والقرآن الحكيم الى قوله انما تنذر من اتبع
الذكر فشاورت في ذلك جماعة من ارباب القلوب و
المشاهدات فاتفقوا على الاشارة بترك العزلة والخروج
من الزاوية وانضاف الى ذلك منامات من الصالحين
كثيرة متواترة تشهد بان هذه الحركة مبدأ خير ورشد
قدر الله سبحانه على رأس هذه المائة وقد وعد الله سبحانه باحياء
دينه على رأس كل مائة فاستحكم الرجاء وغلب حسن
الظن بسبب هذه الشهادات ويسر الله تعالى الحركة
الى نيسابور للقيام بهذا المهم في ذي القعدة سنة
تسع وتسعين واربعمائة وكان الخروج من بغداد

القناعة كنز لا يفنى [illegible] سعادة في الدنيا

في ذي القعدة سنة ثان وثمانين واربعمائة
وبلغت مدة العزلة احدى عشر سنة وهذه حركة
قدرها الله تعالى وهي من عجايب تقديراته
التي لم يكن لها انقداح في مدة العزلة كما لم يكن
الخروج من بغداد والنزوع عن تلك الاحوال
مما خطر امكانه بالبال اصلا والله تعالى مقلب
القلوب والاحوال وقلب المومن بين اصبعي الرحمن
وانا اعلم اني وان رجعت الى نشر العلم فما رجعت
فان الرجوع عود الى ما كان وكنت في ذلك الزمان
انشر العلم الذي به يكتسب الجاه وادعو اليه بقولي و
عملي وكان ذلك قصدي ونيتي وانا الآن ادعو الى الذي
به يترك الجاه ويعرف به سقوط رتبة الجاه هو
هذا الآن نيتي وقصدي وامنيتي يعلم الله
ذلك مني وانا ابغي ان اصلح نفسي وغيري ولست
ادري اصل الى مرادي ام اخرم عن غرضي

هو

لكني

لكني اومن ايمان يقين ومشاهدة انه لا حول
ولا قوة الا بالله واني لم اتحرك لكنه حركني واني
لم اعمل لكنه استعملني فاسئله ان يصلحني اولا ثم
يصلح بي ويهديني اولا ثم يهدي بي ويرزقني اتباعه
ويريني الباطل باطلا ويرزقني اجتنابه ونعود
الآن الى ما ذكرناه من اسباب ضعف الايمان
ونذكر طريق ارشادهم وانقاذهم في مهالكهم
اما الذين ادعوا الحيرة بما سمعوه من اهل التعليم
فعلاجه ما ذكرناه في القسطاس المستقيم ولا نطول
بذكره هذه الرسالة واما ما توهمه اهل الاباحة
فقد حصرنا شبههم في سبعة انواع وكشفناها في كتاب
كيمياء السعادة واما من فسد ايمانه بطريق الفلسفة حتى
انكر اصل النبوة فقد ذكرنا حقيقة النبوة ووجودها
بالضرورة بدليل وجود علم خواص الادوية
والنجوم وغيرها وانما قدمنا هذه المقدمة لاجل

وان يريني الحق حقا صح

وانما اوردنا الدليل من خواص الطب والنجوم
لانه من نفس علمهم ونحن نبين لكل عالم بفن من العلوم
كالطب والطبيعة والسحر والطلسمات مثلا من نفس علمه
برهان النبوة واما من اثبت النبوة بلسانه وسوى
اوضاع الشرع على الحكمة فهو على التحقيق كافر بالنبوة
انما هو مؤمن بحكيم له طالع يقتضي طالعه ان يكون
متبوعا وليس هذا من النبوة في شيء بل الايمان بالنبوة
ان يقر باثبات طور وراء العقل ينفتح فيه عين
يدرك بها مدركات خاصة والعقل معزول عنها
كعزل السمع عن ادراك الالوان والبصر عن ادراك
الاصوات وجميع الحواس عن ادراك المعقولات فان
لم يجوزوا هذا فقد اقمنا البرهان على امكانه
بل على وجوده وان جوز هذا فقد اثبت ان ههنا
امورا تسمى خواصا لا يدور نصر العقل حواليها اصلا
بل يكاد العقل يكذبها ويقضي باستحالتها فان وزن

كالنجوم

دانق من الافيون سم قاتل لانه يجمد الدم في العروق
لفرط برودته والذي يدعي علم الطبيعة يزعم
انه انما يبرد لانه من المركبات يغلب لعنصر الماء
والتراب فهما العنصران الباردات ومعلوم ان
ارطالا من الماء والتراب لا يبلغ تبريده في الباطن
الى هذا الحد ولو اخبر طبيعي بهذا ولم تجربه
لقال هذا محال والدليل على استحالته ان فيه
نارية وهوائية والهوائية والنارية لا تزيدها
برودة فنقدر الكل ماء وترابا فلا يوجب هذا الافراط
في التبريد واذا انضم اليه حاران فبان لا يوجب
اولى ويقدر هذا برهانا واكثر براهين الفلاسفة
في الطبيعيات والالهيات مبني على هذا الجنس فانهم
تصوروا الامور على قدر ما وجدوه وعقلوه
وما لم يألفوه قدروا استحالته ولو لم يكن الرؤيا
الصادقة مألوفة وادعى مدع انه عند

احبه تجد الراحة والسرور والكرم

٩٥

ركود الحواس بعلم الغيب لا ينكره المتصرفون
بمثل هذه العقول ولو قيل لواحد هل يجوز ان
ان يكون في الدنيا شيء هو بمقدار حبة يوضع في
بلدة فتأكل تلك البلدة بجملتها ثم تأكل نفسه فلا يبقى
هو في نفسه فقال هذا محال وهو من جملة الخرافات
وهذه حالة النار ينكرها من لم ير النار اذا
سمعها واكثر انكار عجايب الآخرة هو من هذا
القبيل فنقول للطبيعي قد اضطررت الى ان تقول
في الافيون خاصية في التبريد ليس على قياس المعقول
بالطبيعة فلم لا يجوز ان يكون في الاوضاع من الخواص
في مداواة القلوب وتصفيتها ما لا يدرك بالحكمة
العقلية بل لا يبصر ذلك الا بعين النبوة بل قد اعترفوا
الخواص هي اعجب من هذا فيما اوردوه في كتبهم وهي من
خواص العجيبة المجربة في معالجة الحامل التي عسر عليها
الطلق بهذا الشكل يكتب على خرقتين لم يصبهما ماء

وينظر اليهما الحامل بعينها ويضعها تحت قدميها
فيسرع الولد في الحال
الى الخروج وقد قالوا

٤	٩	٢
٣	٥	٧
٨	١	٦

مكان ذلك واورده في عجايب الخواص وهو
شكل فيه تسعة بيوت ترقم فيها رقوم مخصوصة يكون
مجموع ما في جدول واحد خمسة عشر قراءته في
طول الشكل او عرضه او على التناسب من فليت شعري
يصدق بذلك ثم لم يتسع عقله للتصديق بان يقدر
صلوة الصبح بركعتين والظهر باربع والمغرب بثلث
هي لخواص غير معلومة بنظر الحكمة وسببها اختلاف
هذه الاوقات وانما تدرك هذه الخواص بنور
النبوة والعجب انا لو غيرنا العبارة الى عبارة
المنجمين لقصدوا اختلاف هذه الاوقات فنقول
اليس تختلف الحكم والطالع بان يكون الشمس في
وسط السماء او في الطالع لو في الغارب حتى

اذا عزمت امورك لا تخف من مكروه

يبتنوا على هذا في تسييراتهم اختلاف العلاج و
تفاوت الاعمار والآجال فلا فرق بين الزوال
وبين ان يكون الشمس في وسط السماء ولا بين المغرب
وبين كون الشمس في الغارب فهل لتصديقه سبب الا ان
ذلك سمعه بعبارة المنجم لعله جرب كذبه مائة مرة ولا يزال
يعاود تصديقه حتى لو قال له المنجم اذا كانت الشمس في
وسط السماء ونظر اليها الكوكب الفلاني والطالع البرج الفلاني
فلبست ثوبا جديدا في ذلك الوقت قتلت في ذلك
الثوب فانه لا يلبس الثوب في ذلك الوقت وربما يقاسي
فيه البرد الشديد وربما سمعه من منجم قد عرف كذبه
مرات فليت شعري من يتسع عقله لقبول هذه البدائع
ويضطر الى الاعتراف بانها خواص معرفتها معجزة لبعض
الانبياء فكيف ينكر مثل ذلك فيما يسمعه من قول
صادق نبي صادق مؤيد بالمعجزات لم يعرف
قط بالكذب ثم لا يتسع لامكان هذه الخواص في

اعداد الركعات ورمي الجمار واعداد اركان
الحج وساير تعبدات الشرع ولم يجد بينهما وبين
خواص الادوية والنجوم فرقا اصلا فان قال قد
جربت شيا من النجوم وشيا من الطب فوجدت بعضه
صادقا فانقدح في نفسي تصديقه وسقط عن قلبي
استبعاده ونفرته وهذا لم اجربه فبم اعلم وجوده وتحققه
وان اقررت بامكانه فاقول انك لا تقتصر على
تصديق ما جربته بل سمعت اخبار المجربين وقلدتهم
فاسمع اقوال الانبياء والاولياء فقد جربوه وشاهدوا
في جميع ما ورد به الشرع واسلك سبيلهم تدرك بالمشاهدة
بعض ذلك على اني اقول وان لم تجرب فيقضي عقلك
بوجوب التصديق والاتباع قطعا فانا لو فرضنا رجلا
بلغ وعقل ولم يجرب فمرض وله والد مشفق حاذق
بالطب يسمع دعواه معرفة الطب منذ عقل فعجن له
والده دواء وقال هذا يصلح لمرضك ويشفيك من سقمك

ان صبرتم فهو خير للصابرين

فاذا يقتضيه عقله وان كان الدواء مرا كريه المذاق
ان يتناوله او يكذب ويقول انا لا اعقل مناسبة
هذا الدواء لتحصيل الشفاء ولم اجربه فلا شك انك
تستحمقه ان فعل ذلك تستحمقك اهل البصائر في توقفك
فان قلت فبم اعرف شفقة النبي ومعرفته بهذا الطب
فاقول ولم عرفت شفقة ابيك فان ذلك ليس امرا
محسوسا بل عرفتها بقراين احواله وشواهد اعماله في
مصادره وموارده علما ضروريا لا يتمارى فيه ومن نظر
في اقوال رسول الله صلى الله عليه وسلم وما ورد من
الاخبار في اهتمامه بارشاد الخلق وتلطفه في حق الناس
بانواع الرفق واللطف الى تحسين الاخلاق واصلاح
ذات البين وبالجملة الى ما يصلح دينهم ودنياهم حصل له
علم ضروري بان شفقته على امته اعظم من شفقة الوالد
على ولده واذا نظر الى عجايب ما ظهر عليه من الافعال
والى عجايب الغيب الذي اخبر عنه في القران وفي الاخبار

والثالث لان فرار بعضهم عن بعض في ذلك
الموقف على ما نبناه في شرح هذه الاية فان قلت
جواب النبي عم عن سؤال عايشة رضي الله عنها
انما يجري على تقدير عدم ثيابهم عراة عند حصول
التعارف بينهم فهل الامر كذلك قلت نعم كما فهم
من حديث رواه مسلم في صحيحه حيث قال عن ابن عباس
رضي الله عنه قام فينا رسول الله عليه السلام بموعظة
فقال يا ايها الناس انكم تحشرون الى الله حفاة
عراة غرلا كما بدانا اول خلق نعيده وعدا علينا
انا كنا فاعلين الا وان اول الناس يكسا يوم القيامة
ابراهيم عليه السلام قال الامام القرطبي في التذكرة
تكلم العلماء في حكمة تقديم ابراهيم عليه السلام بالكسوة
فروي انه لم يكن في الاولين والاخرين لله عز وجل
عبدا اخوف من ابراهيم عليه السلام فتعجل له كسوته
امانا له ليطمئن قلبه ويحتمل ان يكون ذلك لما جاء به

الحديث من اول من امر يلبس السراويل اذ اتقى
مبالغة في الستر وحفظا لفرجه من ان يماس
مصلاه ففعل ما امر به فيجزي بذلك ان يكون اول
من يستر يوم القيامة ويحتمل ان يكون الذين
القوه في النار جردوه ونزعوا ثيابه عنه على اعين
الناس كما يفعل بمن يراد قتله وكان ما اصابه
من ذلك في ذات الله تع فلما صبر واحتسب و
توكل على الله تعالى دفع الله عنه شر النار في الدنيا
والآخرة وجزاه بذلك العري ان جعله اول من يرفع
عنه العري يوم القيمة على رؤس الاشهاد وهذا
احسنها والله اعلم الاية الثامنة يوم يفر المرء
من اخيه وامه وابيه وصاحبته اي زوجته و
بنيه لكل امرئ منهم يومئذ شان يغنيه يكفيه
في الاهتمام به وقرئ يعنيه اي يهمه فان قلت
ما وجه الترتيب قلت وجهه رعاية التسجيع

فانه

فانه من محاسن الكلام اذا كان خاليا عن التكلف
يرشدك الى هذا قوله تع وبنيه مقام اولاده
وما قيل بدء بالاخ ثم بالابوين لانهما اقرب
منه ثم بالصاحبة والبنين لانهم اقرب واحب
كانه قيل يفر من اخيه بل من ابويه بل من صاحبته
وبنيه لا يخلو عن مناقشة ومن عزه الى قوله
وتاخير الاحب فالاحب للمبالغة فقد توسع
دايرة المناقشة وانما يفر منهم حذرا من مطالبتهم
بالتبعات يقول الاخ لم تواسني والابوان قصرت
في برنا والصاحبة اطعمتني الحرام وفعلت وصنعت
والبنون لم تعلمنا ولم ترشدنا واما ما قيل ان ذلك
لعلمه انهم لا يغنون عنه شيئا فمردود بما ورد في
صحيح الخبر من ان الصبيان يطوفون على ابائهم بكوس
من انهار الجنة يسقونهم ذكره الامام القرطبي في
باب ما يلقى الناس في الموقف من الاهوال العظام

والامور الجسام من التذكرة وهذا نص صريح في
ان منهم من ينفعه فان قلت لو كان السجين شأنه
لما عدل من الغواش الى المهاد في قوله تعالى لهم من جهنم
مهاد ومن فوقهم غواش قلت لعل ذلك النكتة
معنوية تترتبوا على نكتة لفظية وهي ان في لفظ المهد
من معنى الاعداد والتهيئة فيتضمن الاشارة الى ما
صرح به في قوله تعالى اعدت للكافرين فان قلت
اذا ثبت الفرار يومئذ بالاختيار فما وجه الوعيد
في قوله عليه السلام من فرق بين والدة وولدها
فرق الله تعالى بينه وبين احبته يوم القيامة والحديث
مذكور في فصل ما يكره من البيوع من الهداية
وغيره من كتب الفقه قلت ان الناس اذا حيوا
ويبعثون من قبورهم فليست حالهم ولا مواقفهم
واحدا بل لهم احوال ومواقف فاختلف الاخبار
عنهم لاختلاف مواقفهم واحوالهم وجملة ذلك انها

خمسة

خمسة احوال اولها حال البعث من القبور والثانية
حال السوق الى موضع الحساب والثالثة حال المحاسبة
والرابعة حال السوق الى دار الجزاء والخامسة
حال مقامهم في الدار التي يستقرون فيها فالفرار
المكروه في الموقف الاول لانهم عند ذلك يتعارفون
بينهم على ما بيناه في شرح الآية والفرار بالاختيار
في الموقف الثاني والثالث والله اعلم الآية الثامنة
يوم يكشف عن ساق ويدعون اي اهل المحشر
الى السجود يعني الله تعالى والساق يجيء في لغة العرب
بمعنى النفس نقله ابو عمر عن ابي العباس النحوي
ومنه قول علي رضي الله عنه حين راجعه اصحابه في
قتال الخوارج فقال والله لاقاتلنهم ولو تلفت
ساقي يريد نفسه وفي التنكير البحت ايماء الى بعده
عن التعيين والتبيين بالتعريف والتوصيف
وعلى هذا يكون المراد التجلي لهم وكشف الحجاب

عن ابصارهم حتى اذا رأوه سجدوا له ويعضد هذا
ما روي في صحيح البخاري ان الله تعالى يكشف عن
ساقه يوم القيامة فيسجد له كل مؤمن ومؤمنة
وقد جاء في ذلك حديث حسن ذكره ابو الليث السمرقندي
في تفسير هذه الآية عن ابي بردة بن ابي موسى
الاشعري عن ابيه قال سمعت رسول الله عليه السلام
يقول اذا كان يوم القيامة مثل لكل قوم ما كانوا
يعبدون في الدنيا فيذهب كل قوم الى ما كانوا
يعبدون ويبقى اهل التوحيد فيقال لهم
ما تنتظرون وقد ذهب الناس فيقولون ان لنا
ربا كنا نعبده في الدنيا ولم نره فيقال كيف تعرفونه
ولم تروه قالوا انه لا شبيه له فيكشف لهم الحجاب
فينظرون الى الله تعالى فيخرون له سجدا ويبقى اقوام
ظهورهم مثل صياصي البقر فيريدون السجود
فلا يستطيعون وذلك قوله تعالى يوم يكشف عن ساق

ويدعون

ويدعون الى السجود فلا يستطيعون ثم قال ابو بردة
فحدثت بهذا الحديث عمر بن عبد العزيز فقال عمر
رضي الله عنه ما سمعت في اهل التوحيد حديثا هو
احب الي من هذا وقال الامام القرطبي في التذكرة
هذا القول يعني تفسير الساق بما ذكر احسن الاقوال
وقال في تفسيره معنى حديث ابي بردة ثابت
في صحيح مسلم من حديث ابي سعيد الخدري ونحن
نقول لعل قول علي رضي الله عنه لو كشف الغطاء
ما ازددت يقينا اشارة الى هذا الكشف فان قلت
بعد ما ذهب كل قوم الى ما كانوا يعبدون لم يبق
الا اهل التوحيد فمن الذين يريدون السجود
ولا يستطيعون قلت هم المنافقون على ما جاء في حديث
مسلم حيث قال يجمع الله الناس يوم القيامة
فيقول من كان يعبد شيئا فليتبعه فيتبع من كان
يعبد الشمس الشمس ويتبع من كان يعبد القمر القمر

ويتبع من كان يعبد الطواغيت الطواغيت
فيبقى هذه الامة فيها منافقوها الحديث قال قلت
ذهب صاحب الكشاف الى ان ما ذكر تمثيل حيث
قال الكشف عن الساق مثل في شدة الامر
وصعوبة الخطب واصله في الروع والهزيمة
وتشمير المخدرات عن سوقهن في الهرب فمعنى
يوم يكشف عن ساق في معنى يوم يشتد الامر
ويتفاقم ولا كشف ثمه ولا ساق كما تقول
لا قطع الشحيح يده مغلولة ولا يد ثمه ولا غل وانما
هو مثل في البخل واما من شبه فلضيق فطنه
وقلة نظره في علم البيان وحكي هذا التشبيه عن
مقاتل وعن ابي عبيدة خرج من خراسان رجلان
احدهما شبه حتى مثل وهو مقاتل بن سليمان
والاخر نفى حتى عطل وهو جهم بن صفوان والذي
غره يعني من شبه حديث ابن مسعود رض يكشف

الرحمن

الرحمن عن ساقه فاما المؤمنون فيخرون سجدا
واما المنافقون فتكون ظهورهم طبقا طبقا كأن
فيها السفافيد ومعناه يشتد امر الرحمن ويتفاقم
هوله وهو الفزع الاكبر يوم القيامة ثم كان
من حق الساق ان يعرف على ما ذهب اليه المشبهة
لانها ساق مخصوصة معهودة وهي ساق الرحمن
فان قلت لم جاءت منكرة في التمثيل قلت للدلالة
على انه امر مبهم في الشدة منكر خارج عن المألوف
كقوله يوم يدع الداع الى شيء نكر كانه قيل
يوم يقع امر فظيع تأمل الى هنا كلامه وتبعه الامام
البيضاوي والامام القاشاني صاحب التفسير
والتأويل فهل لما ذهبوا اليه وجه قلت لا لان
شرط العدول عن الحقيقة والمصير الى التمثيل عند
تعذر اجراء الكلام على حقيقته وهذا الشرط مفقود
ههنا لما عرفت ان الساق يجيء في اللغة بمعنى النفس

وهي مرادة ههنا بشهادة الاحاديث الصحيحة و
وصاحب الكشاف معذور فيما ذهب اليه من غلاة
المعتزلة المنكرين لامكان رويته تعالى فاضطره
ذلك الاعتقاد الى صرف الكلام عن حقيقته ورد
الاحاديث الصحيحة الواردة في هذا الباب واما من
حذى حذوه فقلده غافلين عن منشأ ذهابه
الى ما ذهب اليه وعن ان ذلك منشأ خلاف
ما ذهب اليه اهل السنة والجماعة وفي ضمنه رد
للاحاديث المرفوعة واما قوله واما من شبه فلضيق
عطنه وقلة نظره في علم البيان فلقد اصاب في رده
وان لم يصب في تعيين منشأ ذهابه الى التشبيه
فانه لقلة نظره في علم اللغة وعدم احاطته بالاحاديث
المذكورة لا لقلة نظره في علم البيان واما قوله لكن
من حق الساق ان يعرف الى قوله على ما ذكرناه
ايضا وقد نبهت على وجه التفصي عنه فيما تقدم فتذكره

ويدعون

ويدعون الى السجود توبيخا وتعنيفا على تركهم
السجود في الدنيا عند الاستطاعة لا تعبدا او
تكليفا فان الدار دار الجزاء لا دار التكليف
فيؤمرون به مع اعقام اصلابهم والحيلولة بينهم و
بين الاستطاعة تحسيرا وتنديما على ما فرطوا فيه
حين دعوا الى السجود وهم سالموا الاصلاب والمفاصل
ممكنون مزاحو العلل فيما تعبدوا به فلا يستطيعون
روي عن ابن مسعود رضي الله عنه انه تعقم اصلابهم
اي ترد عظاما بلا مفاصل لا تنثني عند الرفع و
الخفض وفي الحديث ويبقى اصلابهم طبقا واحدا
اي فقارة واحدة الآية التاسعة ويوم
منصوب بمضمر تقديره كان ما لا يدخل تحت
الوصف وانما حذف تهويلا للامر ومبالغة في التخويف
نحشرهم جميعا قد مر تفسير الحشر ثم نقول للذين
اشركوا اين سؤال توبيخ شركاؤكم اضاف

الشركاء اليهم لانه لا شركة في الحقيقة بين الاصنام
والمعبود بحق وانما اوقع عليها اسم الشريك بمجرد تسميتهم
شركاء فاضيف اليهم بهذه النسبة ويعضده التعبير
عن اعتقادهم بالزعم فانه كالعلم في الباطل حتى قالوا
زعموا مطية الكذب ولا يخفى ما فيه من التهكم الذين
كنتم تزعمون انهم شركاء لله فحذف المفعولان لدلالة
سياق الكلام عليه وهذا السؤال ظاهر في غيبة الشركاء
وقوله تعالى في موضع آخر من هذه السورة وما نرى معكم
شفعاءكم الذين زعمتم انهم فيكم شركاء لقد تقطع بينكم
وضل عنكم ما كنتم تزعمون نص فيها فلا وجه لما قيل
يجوز ان يحضروا ويشاهدوا ولكن لما لم ينتفعوا
بهم ولم يكن فيهم ما رجوا من الشفاعة لهم جعلوا كأنهم
غيب عنهم وهو ابلغ في التوبيخ اذ وجودهم اضر
من العدم وانما قيل يجوز ان يحال بينهم وبينها
ليتفقدوا في الساعة التي علقوا بها الرجاء فيها فيرد عليه

انه ح

انه حـ ينكشف المحال عندهم ويعلمون انه لا منفعة لهم
في الهتهم بل فيها مضرة فلا احتمال للتفقد ثم لم تكن
فتنتهم جوابهم وانما سمي فتنة لانه معذرتهم التي توهموا
تخلصهم بها من قولك فتنت الذهب اذا خلصته
وقيل كفرهم والمراد عاقبته الا ان قالوا وقرئ
لم يكن بالياء التحتانية وفتنتهم بالنصب على ان الاسم
ان قالوا وقرئ بالياء الفوقانية وفتنتهم بالرفع على
انها الاسم وقرئ بنصبها على تقدير ان قالوا مؤنثا
اي ثم لم تكن فتنتهم الا مقالتهم هذا احسن من
اعتبار التأنيث في الخبر والله ربنا ما كنا مشركين
كذبوا وحلفوا مع علمهم بانه لا ينفع حيرة ودهشا
فان الممتحن ينطق بما ينفعه وما لا ينفعه من غير تمييز
بينهما كقولهم ربنا اخرجنا منها فان عدنا فانا ظالمون
مع ايقانهم بالخلود فيها وقرئ ربنا بالنصب
على النداء والمدح انظر كيف كذبوا على انفسهم

بنفي الشرك عنها وضل عنهم يحتمل ان يكون عطفاً
على كذبوا اخباراً او استئنافاً فلا يدخل في حيزه ما
كانوا يفترون اي غاب عنهم ما كانوا يفترونه من
من الشركاء اي يفترون الهيته وشفاعته ومن
قال في تفسير قوله تعالى وما كنا مشركين اي عند انفسنا
بل كنا موحدين باقرارنا بان الخالق واحد والرازق
واحد وانما عبدنا الاصنام ليقربونا الى الله زلفى فكانه
لم يدر ان التقييد المذكور يأباه قوله تعالى انظر كيف
كذبوا اذ هو اي على تقدير ان يكون نفيهم الشرك عن
انفسهم لا بحسب الواقع بل بحسب اعتقادهم لا يكونون
كاذبين فيما قالوا لصدقهم في اخبارهم عن زعمهم
اعتقادهم ثم ان المراد من الشرك الشرك في العبادة
لا الشرك في الالوهية فقوله بل كنا موحدين باقرارنا
الخ لا يناسب المقام قال تعالى في سورة النحل واذا
رأى الذين اشركوا شركاءهم قالوا ربنا هؤلاء شركاؤنا

الذين

الذين كنا ندعوا من دونك فالقوا اليهم القول
انكم لكاذبون الغاء القول في جوابهم من جانب
الشركاء على ما افصح عنه قوله تعالى في سورة يونس
عليه السلام ويوم نحشرهم جميعاً ثم نقول للذين
اشركوا مكانكم انتم وشركاؤكم فزيلنا بينهم وقال
شركاؤهم ما كنتم ايانا تعبدون فكفى بالله شهيداً بيننا
وبينكم ان كنا عن عبادتكم لغافلين وقوله
ان كنا عن عبادتكم لغافلين صريح في ان الجواب
المذكور ليس من جانب الشياطين كما توهمه
من قال اي اجابوهم بالتكذيب في انهم حملوهم على
الكفر والزموهم اياه كقوله وما كان لي عليكم من سلطان
الا ان دعوتكم فاستجبتم لي بل نقول قوله تعالى في سورة
السبأ ويوم نحشرهم جميعاً ثم نقول للملائكة أهؤلاء
اياكم كانوا يعبدون قالوا سبحانك انت ولينا
من دونهم بل كانوا يعبدون الجن ظاهر في ان الجواب

القاضي وغيره

القاضي

من جانب الملائكة فمن زعم انه من جانب الاصنام
وقال ولا يمتنع انطاق الله تعالى الاصنام به صح
لم يصب وقد قال ذلك الزاعم في تفسير سورة
السبإ وتخصيص الملائكة لانهم اشرف شركائهم و
الصالحون للخطاب وبين كلاميه تدافع ظاهر وعلم
ان قوله تع في سورة الانعام وما نرى معكم شفعاءكم
الذين زعمتم انهم فيكم شركاء صريح في انه يحال
بينهم وبين شركائهم ابتداء فالاستفهام عن شركائهم
عنده ذلك على ما نبهناك عليه فيما تقدم وقوله تع
في سورة النحل واذا رأى الذين اشركوا شركاءهم
صريح في انهم يجمعون معهم بعد ذلك فانكارهم عن
اتخاذهم الشركاء حين لم يروهم فلا ينافي اعترافهم
بعد ذلك حين راوهم فاجيبوا بانكم لكاذبون
في قولكم الاول هذا هو الظاهر وما قيل ان التكذيب
في انهم شركاء الله تع يرد عليه ان المراد من الشركة

الشركة

الشركة في العبادة لا الشركة في الالوهية وقد
وجد منهم التشريك في العبادة وان لم يوجد
منهم التشريك في الالوهية فلا وجه لتكذيبهم فيه
وبما قررناه تبين ان من قال وتجوزان يحال
بينهم وبينها لتنفقد وتاغات عنه التي علقوا
بها الرجاء فهما غافل عن حقيقة الحال قاصر عن
تتبع الايات الواردة في هذا المقام حيث تشبث
بالاحتمال في موضع القطع والله اعلم وقوله تع
في الاعراف اين ما كنتم تدعون من دون
الله قالوا ضلوا عنا الاية العاشرة في سورة
الاعراف والوزن يومئذ الحق الجمهور
على ان صحائف الاعمال توزن بميزان له لسان
وكفتان تنظر اليه الخلائق اظهارا للمعدلة
وقطعا للمعذرة وقال الضحاك والاعمش الوزن
والميزان بمعنى العدل في القضاء وذكر الوزن

الاية الثانية

ضرب مثل كما تقول هذا الكلام في وزن هذا
ووزانه اي يعادله ويساويه وان لم يكن
هناك وزن وقال الزجاج هذا شايع من
جهة اللسان والاولى ان يتبع ما جاء في الاسانيد
الصحاح من ذكر الميزان ولقد احسن القشيري حيث
قال لو حمل الميزان على هذا فليحمل الصراط
على الدين الحق والجنة والنار على ما يرد على الارواح
دون الاجساد والشياطين والجن على الاخلاق
المذمومة والملائكة على القوى المحمودة وقد اجمعت
الامة في الصدر الاول على الاخذ بهذه الظواهر
من غير تاويل وقال الامام القرطبي واذا اجمعوا
على منع التاويل وجب الاخذ بالظاهر وصارت
هذه الظواهر نصوصا وقال حذيفة رضي الله
عنه صاحب الموازين جبرائيل عليه السلام يقول
الله تعالى يا جبرائيل زن بينهم فرد من بعض على بعض

قال

قال ثمة ليس ذهب ولا فضة فان كان للظالم
حسنات اخذ من حسناته فرد على المظلوم
وان لم يكن حسنات اخذ من سيئات المظلوم
فيحمل على الظالم فيرجع الرجل وعليه مثل
الجبال وهذا لا ينافي قوله تعالى ولا تزر وازرة
وزر اخرى لان ما تحمل عليه لما كان جزاء ظلمه
لم يكن في الحقيقة وزر اخرى بل وزر نفسه قوله
يومئذ خبر المبتدا وهو الوزن والحق صفته
او خبر محذوف ومعناه العدل السوي
فمن ثقلت موازينه حسناته او ما يوزن
حسناته فهو جمع موزون او ميزان وجمع وان
كان مفردا لفظا ولذلك وحد الضمير الراجع
اليه جمع معنى ولذلك قيل في جزاء فاولئك
هم المفلحون الفائزون بالنجاة عن الدخول
في النار ومن غفل عن ما ذكرنا تعسف

في تصحيح جمع الميزان حتى قال وجمعه باعتبار
اختلاف الموزونات وتعداد الوزن
ولم يدر ان هذا القدر من التكلف لا يتم
توجيه الكلام بل لا بد من تصحيح معنى الجمعية
في الجزا ايضا ومن خفت موازينه فاولئك
الذين خسروا انفسهم بتضييع الفطرة السليمة
التي فطرت عليها واقتراف ما عرضها للعذاب
بما كانوا باياتنا يظلمون
تم

اعداد الركعات ورمي الجمار

٥٩

السموات ومن في الارض الا من شاء الله ونفخة
بلا فاقة كما قال الله تع بعد ما ذكر نفخة الصعق
ثم نفخ فيه اخرى فاذا هم قيام ينظرون وقد
عرفت ما في زعمه ان نفخة الصعق هي نفخة الفزع
بعينها فتدبر الآية الرابعة يوم ندعو نصب
باضمار اذكر او ظرف لما دل عليه ما تقدم من قوله
ولا يظلمون وقيل هو على الاغراء اي احذروا
يوم ندعوا وقرئ يدعو ويُدعى ويُدعو على قلب
الالف واوا في لغة من يقول افعوا ويجوز ان
يقال انها علامة الجمع كما في قوله تع واسروا النجوى
الذين ظلموا او ضميره وكل بدل منه والنون محذوفة
لقلة المبالاة فانها ليست الا علامة الرفع وهو
قد يقدر كما في يدعى كل اناس كل جماعة من الناس
الاناس اصل الناس كرخال اسم جمع اذ لم يثبت فعال
في ابنية الجمع حذفت همزته تخفيفا كما قيل لوقه

في سورة بني اسرائيل

افعل الامر الذي فعلت لا تخكم فانه مسيه

في الوقية بامامهم بمن ائتموا به من نبي او مقدم
في الدين او كتاب ودين وقيل بكتاب اعمالهم
فانه يرجع اليه في تعرف الاعمال ويرده ان المدعو
بكتاب الاعمال كل واحد من آحاد الناس لا كل جماعة
منه لعدم اشتراك بين الاثنين في كتاب واحد
وقيل بامهاتهم جمع ام كخفاف في جمع خف والحكمة
في ذلك اجلال عيسى عم واظهار شرف الحسن والحسين
رضي الله عنهما وان لا يفتضح اولاد الزنا ويرده
ايضا ما اشرنا اليه آنفا من ان كل ام ليست مما يشترك
فيه جماعة من الانس ثم ان ثالث ما ذكر من وجوه
الحكم مردود بما ذكر في الصحيحين من الحديث الدال
على ان الناس يدعون في الآخرة باسمائهم واسماء
آبائهم قال الامام القرطبي في الصحيح عن ابن عمر
رضي الله عنه قال قال رسول الله عليه السلام
اذا جمع الاولين والآخرين يوم القيامة يرفع
لكل

لكل غادر لواء يوم القيمة فيقال هذه غدرة
فلان بن فلان خرجه مسلم والبخاري فقوله
هذه غدرة فلان بن فلان دليل على ان الناس
يدعون في الآخرة باسمائهم واسماء ابائهم وقال
في تفسير قوله تع يوم يدعوكم فتستجيبون بحمده الدعا
النداء الى المحشر بكلام يسمعه الخلايق يدعوهم الله
تع فيه بالخروج وقيل بالصيحة التي يسمعونها فتكون
داعية لهم الى الاجتماع في ارض القيامة قال عليه
السلام انكم تدعون يوم القيامة باسمائكم واسماء
ابائكم فاحسنوا اسمائكم قال الامام القرطبي وروي
عن النبي عم في قوله تعالى يوم ندعوا كل اناس بامامهم
فقال كل يدعى بامام زمانهم وكتاب ربهم وسنة
نبيهم فيقولوا هاتوا متبعي ابراهيم هاتوا متبعي موسى
هاتوا متبعي عيسى هاتوا متبعي الشيطان هاتوا متبعي
روساء الشيطان الضلالة امام هدى وامام

هدى وامام ضلالة فمن اوتي من المدعوين كتابه
بيمينه اي كتاب عمله وفيه دلالة على ان الدعوة
المذكورة لاعطاء كل من المدعوين كتاب عمله والفاء
للتعقيب واما الدلالة فيها على ان المراد من الامام كتاب
العمل كما توهمه صاحب التيسير فغير ثابتة فاولئك
اورده جمعا حملا على معنى من وقد حمل على اللفظ اولا
فافرد في قوله كتابه وفي قوله بيمينه يقرؤن كتابهم
لكمال صحوهم ووفور عقلهم والذين يؤتون كتابهم
بشمالهم فهم لتحيرهم وترددهم لا يقرؤن كتابهم واشار
اليه في قوله واما من اوتي كتابه بشماله فيقول
يا ليتني لم اوت كتابيه حيث لم يذكر القراءة فيه
ويؤيد هذه الاشارة تعليق القراءة على ايتاء
الكتاب بيمينه وفي قوله يا ليتني دلالة ظاهرة على قلق
بالهم وعدم جنابها عن الكلام فلا وجه لما قيل
وتعليق القراءة بايتاء الكتب باليمين يدل على ان
من

من اوتي كتابه بشماله اذا اطلع على ما فيه غشيهم
من الخجل والحيرة ما يحبس السنتهم عن القراءة ولذلك
لم يذكرهم مع ان قوله ومن كان في هذه اعمى فهو
في الاخرة اعمى ايضا مشعر بذلك فان الاعمى لا يقرأ
الكتاب والمعنى ومن كان في هذه الدنيا اعمى
القلب لا يبصر رشده كان في الاخرة اعمى لا يرى
طريق النجاة ثم ان مبنى الاشعار المذكور على ان
يكون المراد من الاعمى في قوله فهو في الاخرة اعمى
اعمى البصر ويرده ما روي انه لما نزلت هذه الاية
جاء عبد الله بن ام مكتوم الى رسول الله عليه السلام
وقال يا رسول الله انا في الدنيا اعمى افاكون في
الاخرة اعمى فانزل الله تعالى فانها لا تعمى الابصار
ولكن تعمى القلوب التي في الصدور فانه صريح في
ان المراد من الاعمى المذكور اعمى القلب ولا يظلمون
فتيلا اي لا ينقصون مما يستحقون من الجزاء

وإن كان شيئاً حقيراً يسيراً مقدار ما يفتله الشخص
بين أصابعه من الوسخ وقيل الفتيل هو الذي
يكون في شق النواة وإن ثبتت زيادة تحقيق
في أن كل أحد مؤمناً كان أو كافراً قارياً أو أمياً
يقرأ كتابه يوم القيمة فاستمع ما نتلو عليك قال
تعـ وكل انسان الزمناه طائره في عنقه أراد بطائر
خطه من الخير والشر كأنه طير إليه من عش الغيب
ووكر القدر وخص العنق بالاضافة اليه من بين سائر
الاعضاء لان فيه يكون الزاين من القلايد والاطواق
والشاين من الاغلال والاوهاق فاستعير لمحل
الزام الخير والشر ونخرج له يوم القيمة كتاباً هيكلاً
مصوراً بصور أعماله يلقاه منشوراً لظهور تلك الهيئات
فيه بالفعل منفصلة لا منطوية كما كانت قبل ذلك عند
كونها فيه بالقوة اقرأ كتابك على ارادة القول فيقرأ
قارياً كان أو غير قاري لان الاعمال هناك متمثلة

بصورها

بصورها وهياتها يعرفها كل أحد لا على سبيل الكتابة
بالحروف فلا يعرفها الامي وهذا وجه ما روي عن قتادة
يقرأ ذلك اليوم من لم يكن في الدنيا قارياً الآية
الثالثة يومئذ يصدر الناس عن مخارجهم من
القبور الى الموقف اشتاتاً متفرقين او جمع
شتّ أي متفرق ليروا أعمالهم نفس العمل بتصوره
وتمثله ثم يجزى عليه على ما دل عليه قوله تعـ وأن ليس
للانسان إلا ما سعى وأن سعيه سوف يرى ثم يجزاه
الجزاء الاوفى وقد قال المفسرون على وفق ما ورد من
الاثار في تفسير قوله تعـ وهم يحملون أوزارهم على
ظهورهم أن المؤمن إذا خرج من قبره استقبله شيء
هو أحسن الاشياء صورة وأطيبها ريحاً ويقول أنا عملك
الصالح طال ما ركبتك في الدنيا فاركبني أنت اليوم
فذلك قوله يوم نحشر المتقين وفداً قالوا ركباناً وقد قال
عليه السلام عظموا ضحاياكم فانها على الصراط مطاياكم وأن

الكافر اذا خرج من قبره استقبله شيء هو اقبح الاشياء
صورة واخبثها ريحا فيقول انا عملك الفاسد
طال ما ركبتني في الدنيا فانا اركبك اليوم فذلك
قوله تعالى وهم يحملون اوزارهم على ظهورهم فالمرئي
نفس العمل ومن غفل عن هذا صرفه عن ظاهره وقال
جزاء اعمالهم في تفسير قوله تع ليروا اعمالهم فمن يعمل
مثقال ذرة مقدار نملة صغيرة خيرا يره اي
ير نفس ذلك العمل الخير ومن يعمل مثقال ذرة شرا
يره اي ير نفس ذلك العمل الشر ثم نجعل خير الكافر
هباء منثورا قال الله تع وقدمنا الى ما عملوا من عمل
فجعلناه هباء منثورا اي غبارا متفرقا لا يمكن
جمعه وهو تصوير لجعله لا يتهيأ له الاجتماع ولا يتقع
بها الانتفاع لا قدوم ثمة ولا ما نياسبه لكن شبه
حالهم في اعمالهم التي عملوها في كفرهم وسموها مكارم
كقرى الضيف وصلة الرحم واغاثة الملهوف وفك

الاسير

وفك الاسير وامثالها بحال من استعصى سلطانا
وخالفه فقدم الى ما عمل واقتنى وجمع فمزقه وابطله
ولم يترك لها عينا ولا اثرا وشبه اعمالهم المحبطة في
حقارتها وعدم نفعها وقلة الاعتداد بها بالهباء
ثم بالمنتثر المتفرق منه الذي لا يمكن جمعه ونظمه
وذلك اي ابطال حسناتهم بعد ما راوها وتوقعوا
منها النفع اشد ايجاعا لهم وايلاما وبعض من المجتنب
عن الكبائر قال الله تع ان تجتنبوا كبائر ما تنهون
عنه نكفر عنكم سيئاتكم وذلك اي العفو والمغفرة
بعد ما رءوا سيئاتهم وخافوا عن ضررها اوقع
في نفوسهم فضلا وانعاما فكل من لفظ العام
في المقامين على صرافة عمومه غير منصرف عن الظاهر
المتبادر ومن قال ولعل حسنة الكافر وسيئة
المجتنب عن الكبائر تؤثران في نقص الثواب
والعقاب وزعم ان المرئي جزاء الاعمال لا انفسها

ثم فقد رسا على كتف الخطأ في كل من مقامي كلامه
اما في الاول فلانه خالف فيه نص الكتاب الدال
حبوط جزاء الكافر وعلى ان لا اثر له في الآخرة حيث
كان هباء منثورا وشبه بالسراب في عدم النفع
لا من جهة الافضاء الى الثواب ولا من جهة الانجاء
عن شدة العقاب وقوله تعالى والذين كفروا
لهم نار جهنم لا يقضى عليهم فيموتوا ولا يخفف عنهم
من عذابها صريح في انه ليس لهم تخفيف العذاب
والعجب ان القائل المذكور مع قوله ثمة بتخفيف
العذاب في حق الكفار قال ههنا بل كلما خبت زيدا
اسعارها ثم انه لم يدر ان قوله تعالى خبت زدناهم
سعيرا ورد في حق المشركين لا في مطلق الكافر
فلا يتمسك له فيه ههنا واما في الثاني فلانه خالف
فيه نص الحديث الصحيح وهو ما روى ابو ايوب
الانصاري رضي الله عنه قال كان رسول الله

عليه

٦٥

عليه السلام وابو بكر رضي الله عنه يتغديان
اذ انزلت عليه عليه السلام هذه الآية اعني قوله
تعالى فمن يعمل مثقال ذرة الآية فامسك رسول
الله عليه السلام يده عن الطعام ثم قال من عمل منكم
خيرا في الدنيا يرى جزاءه في الآخرة ومن عمل منكم
شرا يرى في الدنيا مصيبات وامراضا ومن يكن فيه
مثقال ذرة من خير يدخل الجنة والحديث مذكور
في التيسير وفي حديث آخر ما اصاب المؤمن من مكروه
فهو كفارة لخطاياه حتى نخبة النملة وهي عضتها وفي
حديث آخر ما من مسلم يشاك شوكة فما فوقها الا
كتبت له بها درجة ومحيت عنه بها خطيئة والحديثان
مذكوران في تفسير سورة البقرة من الكشاف
بل خالف فيه نص الكتاب وهو قوله ان تجتنبوا كبائر
ما تنهون عنه نكفر عنكم سيئاتكم فانه صريح في ان
سيئة مجتنب الكبائر لا تؤثر في نقص الثواب اذ

كانت مؤثرة فيه يلزم ان لا يكون معجزة و
هو خلاف مدلول النص فان قلت اليس من قوله تعالى
من جاء بالحسنة فله عشر امثالها على عمومها وللكافر
حسنة وان لم يكن له عبادة لفقد شرطها وهو عبادة
لان الاعمال الحسنة كالنجاء الغريق واطفاء الحريق
غير مشروطة به قلت نعم الا انه لا يقدر على اثباتها
لبطلانها على ما عرفت فيما تقدم ولا ظلم في ذلك
لان الكفار على ما ورد في الاخبار تجزيه على اعمالها
الحسنة في هذه الدار قال صاحب التبصرة في تفسير
قوله تعالى اولئك الذين ليس لهم في الآخرة الا النار
وحبط ما صنعوا فيها وباطل ما كانوا يعملون قال عليه
السلام ان الله لا يظلم المؤمن حسنة يثاب عليها
الرزق في الدنيا ويجزى بها في الآخرة فاما الكافر
فيطعم بحسناته في الدنيا حتى اذا افضى الى الآخرة
لم يكن له حسنة حتى يعطى بها وقال القاضي في تفسيرها

لانهم

لانهم استوفوا ما تقتضيه صورها مما لهم الحسنة وبقيت
لهم اوزار العزائم السيئة روى مسلم في صحيحه
عن انس رضي ان الكافر اذا عمل حسنة اطعم بها
طعمة من الدنيا واما المؤمن فان الله يدخر له
حسناته في الآخرة ويعقبه رزقا في الدنيا
على طاعته وقال الشيخ الاكمل في شرحه للمشارق
والحديث يدل على ان الكافر لا ثواب له مدخرا اليوم
القيمة وعلى ذلك الاجماع وان الكافر ان عمل ما هو
حسنة يثاب عليها ان عملها المؤمن فله طعمة من
ماكل الدنيا من جملة ما كتب له من الرزق واما ان
الكافر اذا فعل شيئا من ذلك ثم اسلم هل يثاب
عليه في الآخرة او لا فاختلف فيه فذهب بعضهم
الى عدمه لان شرط اعتباره الايمان عند وجوده
ولم يوجد وقال بعضهم يثاب عليه في الآخرة لقوله
عليه السلام اسلمت على ما اسلفت من خير انتهى

واذ تحققت ما قررناه فقد وقفت على ان من
قال فان قلت حسنات الكفار محبطة بالكفر وسيئات
المؤمن معفوة باجتناب الكبائر فما معنى الجزاء بمثاقيل
الذر من الخير والشر قلت المعنى فمن يعمل مثقال ذرة
خيرا يره من فريق السعداء ومن يعمل مثقال ذرة
شرا يره من فريق الاشقياء لانه جاء بعد قوله يصدر
الناس اشتاتا لم يجئ واقفا على سر الكلام وتحقيق
المقام ولاه لانه في صدور الناس اشتاتا على توهم
تخصيص الاحكام كما لا يخفى على ذوي الافهام الاية
الثامنة في سورة الرحمن فيومئذ في وقت
انشقاق السماء وذلك بعد جمع الناس في الموقف
قال الامام القرطبي في تذكرته ان انشقاق القمر
وتناثر النجوم وطمس الشمس فقد ذكر الحليمي وغيره
ان ذلك يكون بعد جمع الناس في الموقف وروى
عن ابن عباس رضي الله عنه لا يسأل عن ذنبه

يعني

يعني سؤال استفسار دل على ذلك تعديته بعن
فان السؤال اذا تعدى الى ثاني مفعوليه بعن يتعين
معنى الاستفسار فلا ينافي ذلك قوله تع قال اكذبتم
باياتي ولم تحيطوا بها علما لانه سؤال توبيخ وتقريع
لا سؤال استفسار واستخبار انس ولا جان
اي بعض من الانس والجن فان مظنة السؤال
عن الذنب فما هي المكلفون من الفريقين ثم
ان الانبياء عليهم السلام بمعزل عن توهم السؤال
المذكور فلا وجه لدرجهم في حكم النفي لما فيه من ابهام
ثبوت الذنب فيهم ولذلك اي لكون الانس في معنى
البعض وحد ضميره في قوله ذنبه ومن غفل عن هذا
قال والهاء للانس باعتبار اللفظ وتاخر الانس
لفظا لا يأبى عن عود الضمير اليه لانه متقدم رتبة
ثم ان النفي المذكور لا ينافي ما في بعض الايات من اثبات
السؤال لانه عن الباعث على الذنب لا عن الذنب نفسه

قال ابن عباس رضي الله عنه لا يسألون هل عملتم
كذا وكذا بل يسألون لم عملتم كذا وهو التوفيق بين
قوله تعالى فوربك لنسألنهم وبين هذه الآية
ومن غفل عن هذا قال وذلك حين يخرجون
من قبورهم ويحشرون الى الموقف ذودا ذودا
على اختلاف مراتبهم واما قوله تع فوربك لنسألنهم
اجمعين ونحوه فحين يحاسبون في المجمع ثم انه لم يصب
في قوله ذلك حين يخرجون من قبورهم ويحشرون
الى الموقف لما نبهت عليه آنفا انه بعد ذلك وانما
عدم السؤال عن الذنب فلعدم الحاجة اليه لا بالنظر
الى السائل وذلك ظاهر ولا بالنظر الى الحاضرين لظهور
لاستحقاق المذنبين بالجزاء الموعود لهم لظهور
الذنوب عندهم ايضا وقد يدل على ذلك ما ذكر
صاحب التيسير في تفسير قوله تع يومئذ تحدث اخبارها
روي ابو هريرة رضي الله عنه عن النبي عليه السلام

انه

دفع دخل

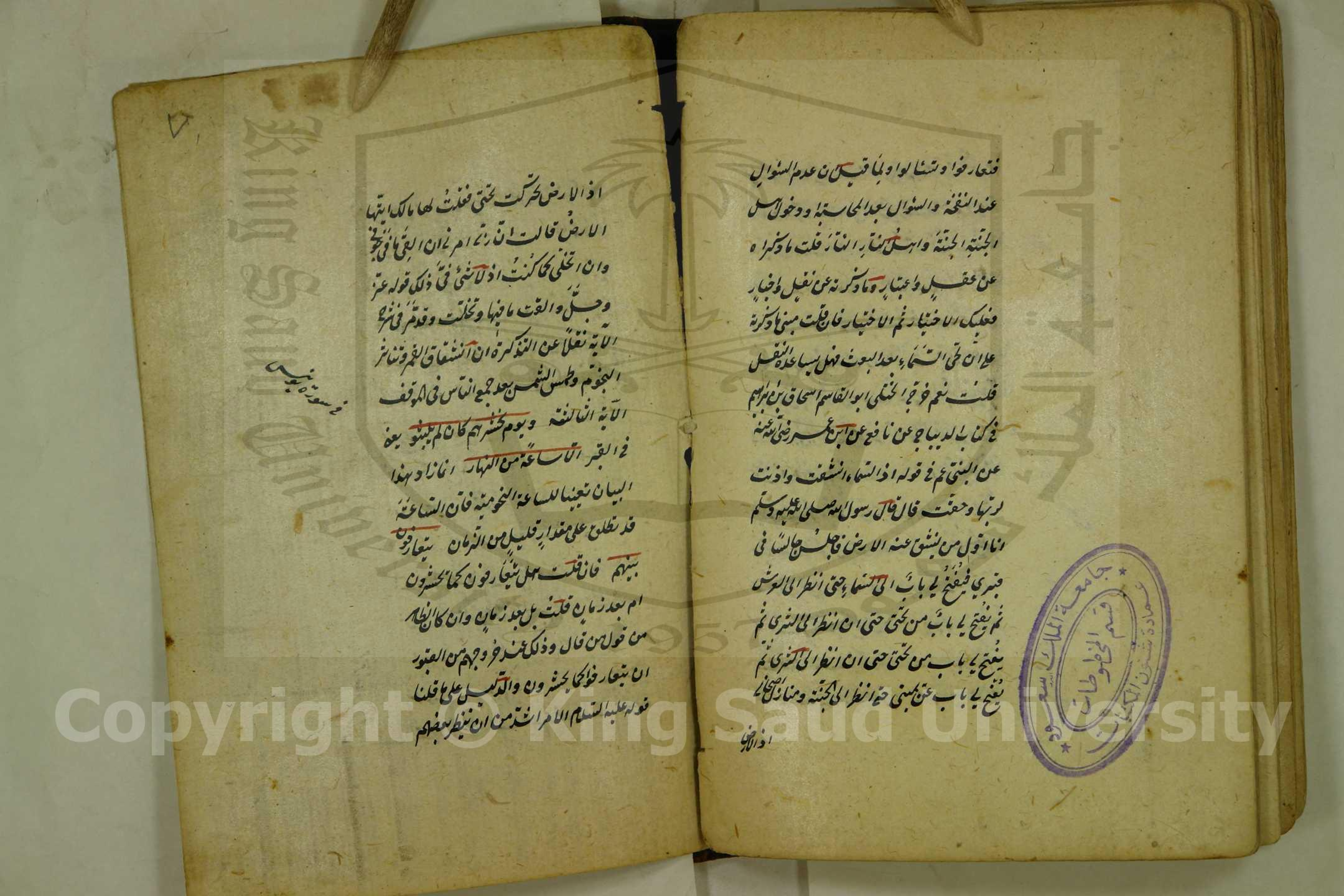
جواب

انه قرا هذه الآية فقال تدرون ما اخبارها قالوا
الله ورسوله اعلم قال فان اخبارها ان تشهد على
كل عبد وامة بما عمل على ظهرها كذا وكذا في يوم كذا
وكذا فهذه اخبارها وقال مقاتل تخبر بما عمل عليها
تقول للمؤمن وحد الله تع علي وصلى علي وصام علي
وحج وزكى وتقول للكافر كفر علي واشرك وزنى و
سرق حتى يود الكافر انه يسوق الى النار وما ذكره
في تفسير قوله تع وهم يحملون اوزارهم على ظهورهم
من ان الكافر اذا خرج من قبره استقبله شيء هو
اقبح الاشياء صورة واخبثها ريحا فيقول انا عملك
الفاسد طال ما ركبتني في الدنيا وانا اركبك اليوم
وشهادة الاعضاء والجلود على ما نطق به نص الكتاب
اصدق خبرا في هذا الباب واما ما قيل في تعليله لانهم
يعرفون بسيماهم فيرد عليه ان ذلك انما يكفي في عدم
السؤال عن المذنب وتمييزه عن غيره لا في عدم السؤال

وجه تعلقه

عن الذنب وتفاصيله وهذا ظاهر والكلام في هذا
المقام في الشأن كما لا يخفى الآية السادسة
فاذا نفخ في الصور يعني للبعث والنشور
فلا انساب بينهم يومئذ فان قلت ما وجه نفي الانساب
مع وهي متحققة قلت المنفي نفعها لا نفسها فان
لكل امرئ يومئذ ما اكتسب لا ما انتسب الا يرى
ان قابيل وكنعان وآذر كيف يدخلون النار
ولا يجديهم الانتساب الى الانبياء الكبار عليهم السلام
وما قيل لزوال التعاطف والتراحم من فرط الحيرة
واستيلاء الدهشة بحيث يفر المرء من اخيه
وامه وابيه وصاحبته وبنيه منظور فيه من وجوه
الاول ان التعاطف والتراحم متحقق بين الصبيان
ووالديها على ما نطقت به الاخبار والثاني ان
زوال التعاطف لا يستلزم عدم نفع الانساب والثالث
ان الفرار المذكور ليس لفرط الحيرة واستيلاء الدهشة
كيف

كيف وهو للتحذر عن مطالبتهم بما فرط في حقهم و
ذلك انما يكون بعد زوال الحيرة والدهشة ونحوها
ما يتعلق بهذا الوجه والذي ذكرناه اولا في شرح
الآية ولا يتساءلون فان قلت فما وجه التوفيق
بين نفي السؤال هنا واثباته في قوله تعالى واقبل
بعضهم على بعض يتساءلون قلت اقبال بعضهم
على بعض بالسؤال عقيب نفخة البعث قبل ان يطوى
السماء كطي السجل كما هو الظاهر من قوله تعالى ويوم
نحشرهم كأن لم يلبثوا الا ساعة من النهار يتعارفون
بينهم ومن قوله تعالى يتخافتون بينهم ان لبثتم الا عشرا
وانقطاع السؤال بعد ما صار السماء كالمهل والجبال
كالعهن على ما نطق به قوله تعالى يوم تكون السماء
كالمهل وتكون الجبال كالعهن ولا يسأل حميم
حميما فان قلت ما ذكرته مخالف لما قيل ان التناكر
يكون عند النفخة الاولى فاذا كانت الثانية قاموا



فتعارفوا وتسائلوا ولما قيل ان عدم السؤال
عند النفخة والسؤال بعد المحاسبة ودخول اهل
الجنة الجنة واهل النار النار قلت ما ذكره
عن عقل واعتبار وما ذكرته عن نقل واخبار
فعليك الاخبار ثم الاخبار فان قلت مبنى ما ذكره
على ان تحى السماء بعد البعث فهل يساعده النقل
قلت نعم خرج الختلي ابو القاسم اسحاق بن ابرهيم
في كتاب الديباج عن نافع عن ابن عمر رضي الله عنه
عن النبي عم في قوله اذا السماء انشقت واذنت
لربها وحقت قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
انا اول من ينشق عنه الارض فاجلس جالسا في
قبري فيفتح لي باب الى السماء حتى انظر الى العرش
ثم يفتح لي باب من تحتي حتى ان انظر الى الثرى ثم
يفتح لي باب من تحتي حتى ان انظر الى الثرى ثم
يفتح لي باب عن يميني حتى انظر الى الجنة ومنازل اصحابي

اذا الارض

اذا الارض تحركت تحتي فقلت لها ما لك ايتها
الارض قالت ان ربي امرني ان القي ما في جوفي
وان اتخلى كما كنت اذ لا شيء في ذلك قوله عز
وجل والقت ما فيها وتخلت وقد مر في تخريج
الاية نقلا عن التذكرة ان انشقاق القمر وتناثر
النجوم وطمس الشمس بعد جمع الناس في الموقف
الاية الثالثة ويوم يحشرهم كان لم يلبثوا بعد
في القبر الا ساعة من النهار انما زاد بهذا
البيان تعيينا للساعة النجومية فان الساعة
قد تطلق على مقدار قليل من الزمان يتعارفون
بينهم فان قلت هل يتعارفون كما يحشرون
ام بعد زمان قلت بل بعد زمان وان كان الظاهر
من قول من قال وذلك عند خروجهم من القبور
ان يتعارفوا كما يحشرون والدليل على ما قلنا
قوله عليه السلام الامر اشد من ان ينظر بعضهم

في سورة يونس

الى بعض فى جواب عايشة رضى الله عنها ثم قولت

قوله عليه السلام يحشر الناس حفاةً عراةً غرلا

فقالت عائشة الرجال والنساء ينظر بعضهم الى بعض

والحديث رواه البخارى ومسلم والنسائى وابن

ماجة رحمهم الله ووجه الدلالة ان هول البعث

لما كان مانعا عن النظر فلان يكون مانعا عن التعارف

الذى يتوقف عليه اولى وقد خرج الامام البيهقى

فى باب وسنن النفخ الثانى من التذكرة فى حديث طويل

عن ابى هريرة رضى الله عنه انهم يوقفون عراةً

حفاةً غرلا مقدار سبعين عاما فان قلت هل

ينقطع التعارف بينهم لشدة الامر بعد حصوله

قلت ذلك محتمل من قال ثم ينقطع التعارف

بينهم لشدة الامر عليهم ولكن الامر ليس كما ظنه

فان قوله تعالى يوم يفر المرء من اخيه الاية صريح

فى بقاء التعارف بينهم فى الموقف الثانى

لان

عموما مرادان غاصل اولمغچون بودرت اسم شريفى

نهفدار قادر سبعه اولور سه دخى حصول اولور

وطلب ايند وكه مرادى بونه ايسه حصولنه اشارت

اولوب تعيين ايله و مشغول اوله

تركلو حاصل اولمغچون شنبه اولنه

يا دايم يا محمد يا حميد يا مجيب

سحرى اوقورلر يا ان كان المراد

محمد محمد محمد محمد محمد محمد محمد محمد

وحبه ... الانبياء ...

استمعا ايكون ... ايچون لر

مرادينه عزت ...

ترن ... بونلرى اوقه

قواق ور غنه يا ذب كونده برين دوتولر

قواق ورده غنه يا ذب كونده برين دوتوده لر

استمع ايكون كاغده يازه دوتدو ...

بسم الله يا الله يا الله يا الله يا الله يا الله

الرحمن يا الله يا الله يا الله يا الله يا الله

الرحيم يا الله يا الله يا الله يا الله يا الله